ميثاق الهجرة.. وأثره في تأسيس أعظم دولة

التوحيد

السنة ومكانتها من دين رب العالمين

مسابقة فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين رحمه الله

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥١٨ السنة الرابعة والأربعون - صفر ١٤٣٦ هـ

الثمن جنيهان

حرمة الدماء

- حكمة الله تتجلى في أقداره !!
- الصراع بين الحق والباطل
- الخلاف شر

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

الخلاف شر

خيرٌ عظيم كان سيعم جُموع الأمة من الراغبين في الخير، حينما عرف النبي صلى الله عليه وسلم موعد ليلة القدر بالتحديد، فخرج ليبلغ المسلمين بهذا الموعد؛ ليحتشدوا في تلك الليلة إيمانًا واحتسابًا، لينالوا أجرًا وثوابًا، وبالطبع كان سيصلنا هذا الخير، فهي ليلة خيرٌ من ألف شهر، وكان الناس سيتفرغون لهذه الليلة، ويجلسون لها من المغرب حتى الفجر، فهي مهما طالت ليلة، ينال قائموها وحاضروها السعادة والمغفرة، في الدنيا والآخرة، لكن ما الذي حال دون معرفة الناس بهذه الليلة؟!!

إنه أمر في غاية الدهشة والعجب، إنها مشاجرة بين رجلين اثنين، فقد ورد عن أنس بْن مَالك رضي الله عنه أنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في رَمَضَانَ فقال إني أريت هَذه اللَّيْلَة في رَمَضَانَ حَتَّى تَلاحَى رَجُلانَ فَرُفعَتْ.

يا الله!! كل هذا الخير العظيم يفوت الأمة بسبب مشاجرة بين رجلين؟ فما الذي يفوت الأمة الآن من الخير بسبب قبح ما نرى؟! هذا يسب، وهذا يلعن، وهذا يخاصم، وآخر يجادل، وهذا يسخر، وغيره يحرض، وهذا يطعن ويشكك، وغيره يسيء الظن ويتهم النيات، وأخيرًا هذا يقتل، وآخر يُقتل!!

فمَن من هذا المجموع سيقبل الله عذره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا تَدابَرُوا ولا تَباغَضُوا ولا تَحاسَدُوا وكُونُوا عبادَ الله إخْوانًا».

وأخيرًا: «لا تَرْجعُوا بَعْدي كُفَّارًا يَضْربُ بَعْضُكُمْ رقابَ بعض».

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٢ سنة كاملة

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الاخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
الصراع بين الحق والباطل:
الشيخ أسامة عبد الله خياط، إمام المسجد الحرم ٦
بيان لجمعية أنصار السنة ٩
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
حرمة الدماء: صلاح نجيب الدق ٢٣
الحقوق المتعلقة بتركة الميت في الشريعة الإسلامية:
المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم ٢٨
حكمة الله تتجلى في أقداره: أحمد صلاح رضوان ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
تصحيح المفاهيم من خلال سورة الفاتحة: عاطف التاجوري ٤٢
باب التربية الإسلامية: د. أحمد فريد ٤٥
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:
إعداد: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٣
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٦٤
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٦٨
باب الفتاوى ٧١

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٠٣ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين . مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج٥٢ دولاراً أو ٠٠١ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم /٠٩٥١٩١.

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٨٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

افتتاحية العدد

السنة ومكانتها من دين رب العالمين

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن أهمية ووجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشرت إلى الوعيد الشديد الواقع على من خالف أمره صلى الله عليه وسلم، وأواصل في هذا اللقاء الحديث حول السنة ومكانتها من دين رب العالمين، فأقول وبالله التوفيق:

١- السنة وحي من الله تعالى:

عصم الله عز وجل نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم عن الضلال والغواية، وأخبر أن ما نطق به وحي منه سبحانه، قال الله تعالى: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٢- ٤).

فقد نفت عنه هذه الآيات الغواية والضلالة، ودللت على ذلك بأن ما بلَّغه لأمته وحي أوحاه الله إليه، وعليه فهو لا ينطق عن الهوى، صلوات الله وسلامه عليه.

قال الشوكاني- رحمه الله- في تفسيره للآيات: «أي: ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره، وقال أبو عبيدة: إن «عن» بمعنى الباء: أي بالهوى، قال قتادة: أي ما ينطق بالقراءة عن هواه، «إن هو إلا وحي يوحى» أي ما هو الذي ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه وقوله: «يوحى» صفة لوحي تفيد الاستمرار التجددي وتفيد نفي المجاز: أن هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية». (فتح القدير ٥/١٠٥).

وقد أخبرنا الله في كتابه أنه أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم السنة، كما أنزل الكتاب، وقرنهما معًا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: «وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (البقرة:٢٣١)، وقال تعالى: «وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (النساء:١١٣)، والمراد بالحكمة هنا: «السنة» لا غير، قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: «فذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعنا من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يشبه ما قاله- والله أعلم- لأن القرآن ذُكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز- والله أعلم- أن يقال: الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فَرْضٌ إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم مقرونًا بالإيمان». (الرسالة: ٧٨، ٧٩).

وقد أمرنا الله في كتابه اتباع ما أنزله سبحانه، وهذا يشمل القرآن والسنة معًا، قال الله تعالى: «اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (الأعراف:٣).

قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيره: «يعني الكتاب والسنة، قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧). (تفسير القرطبي ٤/١٤٢).

وقال ابن كثير: «أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه». (تفسير ابن كثير ٢/٢٧٧).

وقال القاسمي رحمه الله: «خطاب منه تعالى لكافة المتكلمين بالأمر باتباع ما أنزل، وهو القرآن، والمراد «بما أنزل»: القرآن والسنة وقوفًا مع عمومه، لقوله سبحانه: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ» (النجم:٤). (تفسير القاسمي ٧/٢٦١٠).

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فيها أن الله تبارك وتعالى آتاه الكتاب والسنة، كما في حديث المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه،... ألا يوشك رجل شبعان متكئًا على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحل لكم لحمُ الحمار الأهلي، ولا كلِّ ذي ناب من السَّبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبوه، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه». (صحيح سنن أبي داود ٣/٨٧٠).

والحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب والسنة معًا، وقد ذكر البيهقي رحمه الله وجهين للحديث أحدهما: أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي مثله من البيان، أي: أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص، وأن يزيد عليه، فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن. (عون المعبود ١٢/٣٥٥).

وقال الخطابي رحمه الله: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والروافض من الفرق الضالة، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحرروا وضلوا». (المرجع السابق نفس الجزء والصفحة).

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث فاعل ذلك بصفات تنطبق حقًا على هؤلاء المنكرين منها: أنه رجل شبعان، وهذا كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشئ عن الشبع، أو عن الحماقة اللازمة للتنعم والغرور بالمال والجاه، ومنها: أنه جالس على أريكته، أي: سريره، وأراد بذلك: أصحاب الترفه والدعة للذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه، قال الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله: «وقد دلّ الحديث على معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة، وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شئت فقل: تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن، فسيؤدي ذلك- ولا ريب- إلى استعجام كثير- من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء». (دفاع عن السنة ص١٠٥).

> القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين، والسنة هي الأصل الثاني، ومنزلة السنة من القرآن أنها مبينة وشارحة له، تُفصل مجمله، وتوضح مشكله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه.

٢- لا يمكن فهم القرآن واتباعه إلا بالرجوع إلى السنة:

أنزل الله تعالى كتابه من عنده، وأسند بيان ما فيه للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤)، وهذه الآية صريحة في أن بيان القرآن موكول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يقتضي أن تُحفظ السنة حتى نبين القرآن، ولأنه يستحيل أن يحيل الله عز وجل بيان كتاب إلى أمر غير محفوظ، ومن هنا كانت جهود علماء السنة في تدوينها وخدمتها وتمييز صحيحها من سقيمها، وكان هذا في الواقع خدمة لكتاب الله، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية السابقة: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ» (النحل:٤٤) يعني القرآن «لِتُبَيِّنَ للنّاس

ما نُزّل إليهم، أي: من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله وحرصك عليه واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل.(تفسير ابن كثير ٢/٧٧١).

وقال البغوي رحمه الله: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل:٤٤) أراد بالذكر الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبينًا للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة. «معالم التنزيل» (٣/٧٠).

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري- حفظه الله-: في هداية هذه الآية: «السنة لا غنى عنها، لأنها المبيَنة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه». (أيسر التفاسير ٣/١٢١).

وقال الدكتور محمد أبو شهبة- رحمه الله-: «القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين، والسنة هي الأصل الثاني، ومنزلة السنة من القرآن أنها مبيَنة وشارحة له، تفصل مُجمله، وتوضح مشكله، وتقيّد مطلقه، وتخصص عامه.. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بهما». (دفاع عن السنة ص١١).

ومن هنا أقول: إن السنة متى ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي تشريع وهداية، وواجبة الاتباع بدلالة القرآن الكريم على ذلك، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أشكل عليهم فهمه، ويستفتونه فيما يقع لهم من حوادث، وكان يبين لهم ما أشكل عليهم، ويوضح ما يحتاجون إليه، وهذه بعض الأمثلة الدالة على أنه لا يمكن فهم القرآن ولا تطبيقه إلا بالرجوع إلى السنة، قال الله تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ» (البقرة:٤٣)، وهنا أسأل منكري السنة: كيف نصلي ونطبق هذا الأمر؟

أقول: لا يمكن فهمه ولا تطبيقه إلا بالسنة، فهي التي أوضحت كيف نصلي، ومتى نصلي، وعدد ركعات كل صلاة، كما بينت الركوع والسجود والتشهد والقيام، وماذا نقول في كل موطن، كما بينت لنا السنة أحكام صلاة الجمعة والجنائز والاستسقاء والعيدين وغير ذلك.

وكذلك الأمر في تطبيق الزكاة، وقد أوضحت السنة وقت الزكاة، ومقدار النصاب، ومتى تخرج؟ وممن تؤخذ؟ وأين تصرف؟ وكذا الأمر بالنسبة للصيام، وقد جاء الأمر به في القرآن، غير أن آيات الصيام لم تبين لنا ما المباح لنا فيه، ولا المحظور علينا فعله، ولم تذكر حكم الأكل والشرب ناسيًا، وكذلك لم يذكر لنا في القرآن الأيام التي يستحب صيامها كيوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس، كما ورد في السنة النهي عن صيام بعض الأيام كيوم الفطر والنحر، وما يقال في الصلاة والزكاة والصيام يقال في الحج، وفي كثير مما ورد الأمر به في القرآن، بل إن الحدود لا يمكن تطبيقها إلا بالسنة، قال الله تعالى: «وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (المائدة:٣٨)، لم تبين لنا الآية من أين نقطع اليد، وما المقدار الذي تقطع بسببه؟ وقد بينت السنة أن اليد تقطع في ربع دينار، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا». وقد بوّب البخاري لهذا الحديث بقوله: باب قول الله تعالى: «وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»، وفي كم يقطع؟ وقطع عليٌ من الكف. (فتح الباري ١٢/٩٦).

> **لقد كان لسلف هذه الأمة مواقف محمودة في تعظيم السنة والدفاع عنها، وقد قال أحدهم: إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول.**

كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن الكريم، وكان لا يمكن فهمها أو تطبيقها إلا ببيانه صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ» (البقرة:١٩٦)، ولا يمكن لأحد أن يعرف قدر الصيام الوارد في الآية، أو الصدقة، أو المراد بالنسك، إلا عن طريق السنة، وقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن معقل قال: «جَلَسْتُ

إن السنة متى ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي تشريع وهداية، وواجبة الاتباع بدلالة القرآن الكريم على ذلك، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أشكل عليهم فهمه، ويستفتونه فيما يقع لهم من حوادث.

إلى كَعْب بْن عُجْرَة رَضيَ الله عَنْه فسألْتُه عَنْ الْفدْية، فقال نَزلَتْ فِي خَاصة، وَهيَ لكُمْ عامَّة حُملتُ إلى رَسُول الله صَلى الله عليْه وَسلم والقمْل يتناثرُ على وَجْهي، فقال: ما كُنْتُ أرى الْوجع بلغ بكَ ما أرى أوْ ما كُنْتُ أرى الجهْد بلغ بك ما أرى تجدُ شاةً فقلْتُ: لا، فقال فصُمْ ثلاثة أيام أوْ أطعمْ ستَّة مساكين لكُلِّ مسْكين نصْف صاع». (البخاري: ١٨١٦، ومسلم ١٢٠١).

كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم الوارد في قول الله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام:٨٢)، ومن المعلوم أن الظلم أنواعه كثيرة، وفيها الصغير والكبير، وهذه الآية لما نزلت شقت على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم المراد بالظلم، كما ورد في البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: «وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ» (الأنعام:٨٢) قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: «إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان:١٣). (البخاري: ٤٦٢٩).

وقد ذكر الله في كتابه عدة الشهور، وعظَّم أربعة منها ولم يخبرنا القرآن الكريم عنها، وعرفناها من السنة، وقد جاء في حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الزَّمانَ قدْ اسْتدار كهيْئته يوْمَ خلقَ الله السَّمٰوات والأرْض؛ السَّنةُ اثْنا عشر شهْرًا، منْها أرْبعةٌ حُرُمٌ؛ ثلاثٌ مُتواليَاتٌ ذُو الْقعْدة وَذُو الْحجَّة والْمحرَّمُ ورجبُ مُضر الَّذي بيْنَ جُمادى وَشعْبان». (البخاري: ٤٦٦٢).

٣- موقف أهل السنة ممن عارض السنة

لقد كان لسلف هذه الأمة مواقف محمودة في تعظيم السنة والدفاع عنها، والنماذج على ذلك كثيرة أكتفي بذكر بعضها. قال الإمام الشافعي رحمه الله: حدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن ابن شريح الكعبي أن النبي قال عام الفتح: "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إن أحب أخذ العقل وإن أحب فله القود" قال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث؟ فضرب صدري وصاح علي صياحا كثيرا ونال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول تأخذ به!! نعم، آخذ به. وذلك الفرض علي وعلى من سمعه إن الله اختار محمدا من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك. قال: وما سكت حتى تمنيت أن يسكت. (الرسالة: ٤٥٠).

ومعنى داخرين: أذلاء صاغرين.

وقال الفضل بن زياد- صاحب الإمام أحمد بن حنبل- من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة. (طبقات الحنابلة ١٥/٢).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: " إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلى الله عليه و سلم فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول، ولا يطعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا على أصحابه؛ لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن"(شرح السنة/٣٥).

وأختم هذا المقال بقول الصديق رضي الله عنه: "لست تاركًا شيئا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ".

قال ابن بطة رحمه الله عقب نقله لهذا القول: هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، نسأل الله العصمة من الزلل والنجاة من سوء العمل. (الإبانة ٢٤٦/١).

والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

الصراع بين الحق والباطل

إعداد/ **الشيخ أسامة بن عبدالله خياط**

إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، أحمده - سبحانه - على نعمه العظام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه سيد الأنام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه صلاة وسلامًا دائمين ما تعاقبت الليالي والأيام.

أما بعد: فاتقوا الله - عباد الله - وراقبوه، واذكروا أنكم موقوفون عليه (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

عباد الله: يغفُل كثيرٌ من الناس عن حقيقة واضحة وضوحَ الشمس في رابعة النهار، وتدلُّ عليها دلائلُ التاريخ وعبرُ الأيام، تلك هي: أن الصراعَ قديمٌ في حياة الإنسان، وأنه لا مناصَ من وجود عدوٍّ له يُناصبُه العداء، ويتربَّصُ به الدوائر، ويسعى إلى بلوغ الغاية في النصر عليه، أو استلاب نعمة يرى آثارَها ظاهرةً عليه، أو لمجرَّد تعكير صفوه، أو الإزراء عليه.

وهو واقعٌ لم تخلُ منه حياةُ أنبياء الله ورُسُله، وهم خيرةُ الخلق وصفوةُ المُخلصين من عباد الله، فانظر كيف وقع عليهم من عداء قومهم الذين أعلنوا عليهم حربًا عوانًا لا هوادةَ فيها، بلغت من الكيد والأذى والتكذيب ما لا نظيرَ له.

إنها سُنَّةٌ من سُنَن الله في خلقه، لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّل، (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: ١١٢).

وبذلك يُعلمُ أنه لا مطمعَ لبشرٍ في أن يسلمَ من عداوة عدوٍّ يكيدُ له، ويتربَّصُ به، ويتحيَّنُ الفُرص للنَّيل منه والقضاء عليه، وقد جاء بيانُ هذه الحقيقة في كتابِ الله تعالى: حين أوضحَ - سبحانه - ضرورةَ الاختلاف وحَتميَّة وقوعه بين عبادِ الله، (وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) (النحل: ٩).

ومعناه - كما قال ابن جريرٍ - رحمه الله -: «ولو شاءَ ربُّك لجعلَ الناسَ كلَّهم جماعةً واحدةً على ملَّة واحدة، ودينٍ واحد، ولا يزالُ الناسُ مُختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديانٍ وملَلٍ وأهواء، إلا من رحمَ ربُّك فآمنَ بالله وصدَّقَ رُسُله؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رُسُله، وما جاءَهم من عند الله، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلُقَهم أنهم يكون فيهم المؤمنُ والكافرُ، والشقيُّ والسعيدُ، على علمه هذا خلقهم». اهـ.

وإن هذا الاختلاف - يا عباد الله - هو منشأ الصراع، به يثُور، وله يتعادَى الخلقُ، ولأجله يختصمُون.

وإذا كان الصراعُ أمرًا حَتميًّا لا مناصَ منه، ولا سبيلَ إلى السلامة من غوائله، فإن على اللَّبيب الفطن أن يُحدِّدَ عدوَّه تحديدًا دقيقًا، وأن يعرفَه حقَّ المعرفة؛ لئلا يغتر به فيتَّخذَه صديقًا يمحَضه خالصَ الود، ويُفضي إليه بمكنُون سرِّه، ويُظهرَه على دَخيلة نفسه. فيكون بذلك قد سعَى في الإعانة على نفسه، وتمكين عدوِّه منه.

ولقد حذَّر - سبحانه - عبادَه المؤمنين أن يتَّخذوا من عدوِّهم

إذا كان الصراع أمرًا حتمًا لا مناص منه، فعلى اللبيب الفطن أن يحدد عدوه تحديدًا دقيقًا، وأن يعرفه حق المعرفة لئلا يغتر به فيتخذه صديقًا.

أولياءَ وأوصياءَ يكونون خواصّ لهم، يُظهرُونهم على أسرارهم، وخفيِّ أحوالهم؛ لأنهم لا يتوانَونَ ولا يُقصرون في السعي إلى كل ما فيه الشرُّ والفسادُ والإضرارُ بالمؤمنين، فقال - عزّ من قائل -: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: ١١٨).

ولقد كان من منّ الله على بني آدم: أنه - سبحانه - لما خلقَ أباهم آدم ونفخَ فيه من رُوحه، وأسجدَ له ملائكتَه أبانَ له شخصَ عدوِّه، وحذَّره من طاعته واتّباعه، وذلك هو إبليسُ الذي أمرَه الله بالسجود لآدم فأبَى واستكبرَ حسدًا وبغيًا، (فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ) (طه: ١١٧).

وكان من منَّ الله أيضًا على عباده من ذريَّة آدم: أن بيَّن لهم أن الشيطانَ عدوُّهم؛ ليأخذُوا منه حذرَهم، وليأمَنُوا مكرَهم، ويُحبطوا كيدَه، (إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) (فاطر: ٦)، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا) (الكهف: ٥٠).

وكما يتعيَّن على اللبيب معرفةُ عدوِّه حقَّ المعرفة، فكذلك يجبُ عليه تصحيحُ النيَّة في التصدِّي له ومُقاومته، فلا يكونُ ذلك لمجرَّد الغلَبَة، أو لإظهار القوَّة وشدَّة البأس، أو للحميَّة، أو للفخر والمُباهاة؛ بل يكون مقصودُه ومُبتغاه: رضوانُ الله تعالى، وأن تكون كلمتُه - سبحانه - هي العُليا.

ولما كـان الشيطانُ يعلمُ أن فلاحَ الإنسان وصلاحَه وسعادتَه في الحياة الدنيا ونجاتَه وفوزَه بالنعيم المُقيم عند ربِّه يوم القيامة، متوقفٌ على اتِّباع ما جاءَه من ربِّه بالبيِّنات والهُدى، وامتثال أمره واجتناب نهيه، كان حرصُه شديدًا وسعيُه دائبًا في صرفه عن طاعة ربِّه بتزيين المعصية في قلبه، وبإغوائه له بألوان وضُروب الغواية.

كما فعل مع آدم - عليه السلام - حين زيَّن له الأكلَ من الشجرة التي نهاه ربُّه عن الأكل منها، مما قصَّ تعالى عليه خبرَه في قوله - عزَّ اسمُه -: (وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (الأعراف: ١٩ - ٢٢).

وبـذا يستبينُ أن الناسَ في هـذا مُنقسمون إلى فريقَين: فريق يتولَّى الله ويحبُّه ويُطيعُه في أمره ونهيه، وفيما جاءَت به عنه رُسُله. وفريق آخر يتولَّى الشيطانَ ويُطيعُه ويأتمرُ بأمره، الذي أوضحه ربُّنا - سبحانه - بقوله: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٦٩).

وأصـحـابُ هـذا الفريق الـذي يتولَّى الشيطانَ ويُطيعُه هم الخارجون على منهَج الله، الحائدُون عن صراطه المُستقيم، ودينه القويم، المائلون عنه إلى اتِّباع السُّبُل التي تفرَّقت بهم عن سبيله على اختلاف مشاربهم، وتنوُّع نِحَلهم ومذاهبهم، وتعدُّد فرقهم وأحزابهم، التي يجمعُ بينها جامعٌ واحدٌ، هو عامل الانـحـراف الأكـبر، ورُوحُـه وعمادُه، وهو الحيدةُ عن منهج أهل السُّنَّـة والجـمـاعـة وطـريـق سلف الأمـة، والمُخالفةُ عنه إلى غيره من مناهج أهل البدع والأهواء.

تلك المُخالفةُ التي أورثت أهلَها ضلالاً بعيدًا، وأعقبَت أصحابَها إثمًا مُبينًا.

وكفَى بمُشاقَّة الرسول - صلوات الله وسلامُه عليه -، وباتِّباع غير سبيل المؤمنين شؤمًا ووبالاً وسُوءَ مُنقلَب، وقبحَ مآل، ومن يشاقق.. مصيرا.

عباد الله: قـال بعضُ أهـل العلم - في بسط مدلُول قوله - سبحانه

إذا كـان الـشـيـطـان يعلم أن فلاح الإنسان وصـلاحـه وسـعـادتـه في الدنيا ونجاته في الآخـرة تـتـوقـف على اتـبـاع مـا جـاء مـن ربه بالبينات والهدى، كان حرصه شديدًا وسعيه دائبًا فـي صـرفـه عن طـاعـة ربـه بـتـزيـين المعصية في قلبه.

-: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ) (الأعراف: ٢٧) الآية: «لا يدعُ الشيطانُ أمرًا يُحبُّه الله إلا زيَّن للعبد مخالفتَه، ولا أمرًا مكروهًا لله إلا زيَّن له مُقارفتَه، (إنَّما يأمُرُكُم بالسُّوءِ والفَحْشاءِ وأنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون).

والإنسانُ في صراع دائم في نفسه مع الشيطان، يقوم الإنسانُ يُصلي فيأتي فيُذكِّره من الدنيا ما لم يكن يذكرُ قبل الصلاة، فيصرفُه عن صلاته ويشغله عنها، وقد وقعَ مثلُ هذا للصحابة - رضوانُ الله عليهم -: فقد أخرج الإمام مسلمُ بن الحجّاج - رحمه الله - في «صحيحه» بسنده عن عُثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه -، أنه أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إن الشيطانَ قد حالَ بيني وبين صلاتي يُلبِّسُها عليَّ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ذاك شيطانٌ يُقال له «خنزب»، فإذا أحسستَه فتعوَّذ بالله منه، واتفُل على يسارك ثلاثًا». قال: ففعلتُ فأذهبه الله عنّي.

وأخرج الإمام مسلمٌ في «صحيحه» بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -، أنه قال: سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداءَ بالصلاة ذهب حتى يكون بالرَّوحاء»، وهي من المدينة على ستّة وثلاثين ميلاً.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطانُ وله ضُراط، حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قُضيَ التأذينُ أقبل، حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدبر، حتى إذا قُضيَ التثويبُ أقبل حتى يخطرَ بين المرء ونفسه يقول له: اذكر كذا، واذكر كذا، لما لم يكن يذكُرُ من قبل، حتى يظلَّ الرجل ما يدري كم صلى».

فمجالُ الصراع الأول الخطير الذي يحرصُ الشيطانُ على السيطرة عليه هو قلبُ المؤمن، فإذا ملكه ملكَ صاحبَه، وسيَّره وفق ما يُريد، وجعله وليًا من أوليائه، فإذا أبى العبدُ فإنه لا يزالُ يُهاجمُه ويُداوِرُه، ويهتبلُ منه لحظة ضعف وغفلة، ولكنَّ المؤمنَ الحقَّ لا يكادُ الشيطانُ يُلِمُّ به في مثل هذه اللحظات، حتى تتداركه رحمة الله فيُبصر، (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ) (الأعراف: ٢٠١).

مـجـال الـصـراع الخطير الذي يحرص الـشـيـطـان على السيطرة عليه هو قلب المؤمن، فإذا ملكه ملك صاحبه، وسـيَّـره وفـق ما يريد، وجعله وليًا من أوليائه.

فهو طائفٌ عارضٌ يتجلَّى سريعًا، عندما يعودُ العبدُ إلى الله ومنهجه، أما إخوانُ الشياطين فإنهم غرقى في ضلالهم لا يجدون خلاصًا، وسيفُ المؤمن في مُحاربة الشيطان في مجال نفسه ودائرة قلبه - يا عباد الله - هو الالتجاءُ إلى الله، والاحتماءُ به، وكثرة ذكره.

فاتقوا الله - عباد الله -، وجاهدوا النفسَ والهوى والشيطان، ومن معه من أتباع وأعوان؛ تحظَوا بالغُفران والرِّضوان، ونُزول رفيع الجِنان.

واذكُروا على الدوام أن الله تعالى قد أمركم بالصلاة والسلام على خير الأنام، فقال في أصدق الحديث وأحسن الكلام: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن خُلفائه الأربعة: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، واحمِ حوزة الدين، ودمِّر أعداء الدين، وسائر الطُغاة والمُفسدين، وألِّف بين قلوب المسلمين، ووحِّد صفوفهم، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصُر دينك وكتابك، وسُنَّة نبيِّك محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعبادك المؤمنين المُجاهدين الصادقين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

بيان من جمعية أنصار السنة المحمدية

بخصوص ما أشيع عن دعوات للخروج المسلح أو غيره

إنه من منطلق الحرص على استقرار البلاد ومصالح العباد، وحرص الشريعة وحثها على ذلك، فإن جمعية أنصار السنة المحمدية تحذر من هذه الدعوات الهدّامة والأفكار المشبوهة المخالفة لشرع الله، والتي تضر بمصالح العباد والبلاد، وتقوّض أركان الأمن.

والجماعة تهيب بالمواطنين تحمل المسئولية، كل في موقعه، والالتفاف حول قيادة البلاد، من أجل دفع الخطر عن الأمة، كما تحث الجميع على تقوى الله واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

سورة الشورى

الحلقة السادسة

قال الله تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٨)
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩)
وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن
يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا
كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ
فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (الشورى ٢٧- ٣٦)

الحكمة في سعة الرزق وضيقه:

«ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض»، كما قال تعالى: «كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ» (العلق: ٦- ٧)، وقال تعالى: «إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ» (القصص: ٧٦)، فلما كان الأمر كذلك، وكان الله بعباده لطيفا لم يبسط الرزق بسطا يؤدي إلى البغي، «ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير»، فهو سبحانه يوسع على من يشاء، ويقدر على من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وله الحكمة البالغة في التوسعة والتقدير، وله الحكمة البالغة في العطاء والمنع.

دلائل التوحيد:

«وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد»:

إعداد/

د. عبد العظيم بدوي

الغيث هو المطر، والله تعالى هو الذي ينزله، فيصيب به من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، ولا أحد غير الله يستطيع أن ينزل المطر، ولذلك قال تعالى: «أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» (الواقعة: ٦٨- ٧٠). ولما عرَّف موسى عليه السلام بربه الذي بعثه، «قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى ٱلنُّهَىٰ» (طه: ٥٠- ٥٤).

وقوله تعالى: «من بعد ما قنطوا»، أي من نزوله، لطول حبسه عنهم، حتى إذا يئسوا أغاثهم الله تعالى، «وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ»، وهي المطر، فالمطر من رحمة الله بعباده:

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)). قَالُوا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ

قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)). (صحيح البخاري ٨٤٦).

«وَهُوَ الْوَلِيُّ» الذي يجب أن يتولاه عباده دون غيره، وهو سبحانه: «الْحَمِيدُ» في كل الأحوال.

وهذه الآية كقوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الروم: ٤٨-٥٠).

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ» أي: ومن آياته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته «خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، فالسماء المرفوعة، والأرض الموضوعة، لا تقع السماء على الأرض، ولا تميد الأرض بأهلها، «ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (يس: ٣٨)، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (فاطر: ٤١).

«وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ» من الملائكة، والجن، والإنس، والبهائم، والطيور، والحشرات، فهذه الخلائق المختلفة مظهر من مظاهر قدرة الله، قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (فاطر: ١)، وقال تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (النور: ٤٥).

وقوله تعالى: «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» يعني: إن الله الذي خلق هذه الخلائق المختلفة، وبثهم في الأرض، سيجمعهم ليوم لا ريب فيه، وهو يوم القيامة، كما قال تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء: ٨٧)، وقال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» (الواقعة: ٤٩- ٥٠).

الأثام سبب المصائب:

«وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ»:

يقول تعالى: وما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أنفسكم، أو أهليكم، أو أموالكم، أو أولادكم، فبسبب ما اكتسبتم من الآثام، كما قال علي رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة". وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت إذا أصابها الصداع تضع يدها على رأسها وتقول: هذا بما كسبت يداي، وما يعفو الله عنه أكثر. (الدر المنثور(٧/ ٣٥٥)).

«وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» يعني إذا أراد الله بكم سوءًا فلن تعجزوه، كما قال تعالى: «وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ» (الرعد: ١١).

«وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ» يتولاكم «وَلَا نَصِيرٍ» ينصركم ويدفع عنكم ما أراد الله بكم، كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» (الزمر: ٣٨)، وقال مؤمن آل يس لقومه: «وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (يس: ٢٢- ٢٤)، وقال تعالى للذين اتخذوا من دونه أولياء: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» (الإسراء: ٥٦).

«وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ»: أي ومن آياته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، وإحاطته بكل شيء علما، «الْجَوَارِ» جمع جارية، وهي السفينة، كما قال تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» (الحاقة: ١١)، «كَالْأَعْلَامِ» جمع علم، وهو الجبل، ترى السفينة في البحر أدوارا، تحمل آلاف الأطنان من الآدميين وأمتعتهم، تسير فوق الماء برحمة الله، ولو شاء الله لحبسها عن السير، كما قال: «إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أي للمؤمنين، فالإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)). (صحيح مسلم: ٢٩٩٩).

وانما خص الله المؤمنين بالآيات لأنهم الذين ينتفعون بها، أما غيرهم فهم كما قال تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ

هُمُ الْغَافِلُونَ » (الأعراف: ١٧٩).

« أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ » هذا تهديد آخر، يقول تعالى: لو شئنا أهلكنا السفن ومن فيها وأغرقناهم بما كسبوا، « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ » (فصلت: ٤٦)، ولكن يؤاخذهم بما كسبوا ويعفوا عن كثير من ذنوبهم، فلا يعاقبهم عليها، رحمة منه بخلقه، كما قال سبحانه: « وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ » (يس: ٤١- ٤٤).

« وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ »:

« وَيَعْلَمَ » فعل مضارع منصوب، عطفا على فعل منصوب محذوف، تقديره: أو يوبقهن بما كسبوا ليذيقهم بعض الذي عملوا، ويعلم الذين يجادلون في آياتنا من الكفار أنهم « مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ » أي من ملجأ يلجئون إليه من دون الله. ولذلك كانوا كما قال الله تعالى: « فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (العنكبوت: ٦٥)، لأنهم يعلمون أنه لا ينجيهم من المهالك إلا هو سبحانه. فأعلمهم الله سبحانه أن الله الذي يدعونه في البحر هو الذي يجب أن يدعوه في البر، لأن نواصيهم بيده أينما كانوا، قال تعالى: « رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا » (الإسراء: ٦٦- ٦٩).

صفات المؤمنين:

كان الناس قبل الإسلام في جاهلية وشر، يأكلون الميتة، ويشربون الخمر، وينتهكون الأعراض، ويسلبون الأموال، ويقتلون النفس التي حرم الله بغير حق، وكانوا قبل ذلك وبعده يعبدون الأصنام والأوثان.

ومن ثم كانت البشرية في حاجة إلى قيادة راشدة، تنقذها من تلك الجاهلية العمياء التي كانت تخوض فيها، وتأخذ بيدها إلى العروة الوثقى، وتقود خطاها في الطريق الواصل إلى الله ربها ورب هذا الوجود جميعا.

ومن ثم أنزل الله الكتاب على عبده محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيًا، لينذر أم القرى ومن حولها، وشرع فيه ما وصى به نوحا وابراهيم وموسى وعيسى، ليصل بين حلقات الدعوة منذ فجر التاريخ، ويوحد نهجها وطريقها وغايتها، ويقيم بها الجماعة المسلمة التي تهيمن وتقود، وتحقق في الأرض وجود هذه الدعوة كما أرادها الله، وفي الصورة التي يرتضيها.

وقد تضمنت هذه الآيات خصائص وصفات الجماعة المسلمة، المختارة لقيادة البشرية واخراجها من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام، وهي صفات جديرة بالتأمل، لأنها الصفات التي يجب أن تقوم أولا، وأن تتحقق في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية. ومن ثم ينبغي أن نتدبرها طويلا. ما هي؟ ما حقيقتها؟ وما قيمتها في حياة البشرية جميعا؟

إنها الايمان. والتوكل. واجتناب كبائر الاثم والفواحش. والمغفرة عند الغضب. والاستجابة لله. واقامة الصلاة. والشورى الشاملة. والإنفاق مما رزق الله. والانتصار من البغي. والعفو. والإصلاح. والصبر.

فما حقيقة هذه الصفات وما قيمتها؟ يحسن أن نبين هذا ونحن نستعرض الصفات في نسقها القرآني.

إنه يقف الناس أمام الميزان الالهي الثابت لحقيقة القيم، القيم الزائلة، والقيم الباقية، كي لا يختلط الأمر في نفوسهم، فيختل كل شيء في تقديرهم. ويجعل هذا الميزان مقدمة لبيان صفة الجماعة المسلمة.

بيان صفة الجماعة المسلمة:

الدار الآخرة خير من الأولى:

« فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ »:

إن في هذه الأرض متاعا جذابا براقا، وهناك أرزاق وأولاد، وشهوات ولذات، وجاه وسلطان، وهناك نعم آتاها الله لعباده في الأرض تلطفا منه وهبة خالصة، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة في هذه الحياة الدنيا، وان كان يبارك للطائع ولو في القليل، ويمحق البركة من العاصي ولو كان في يده الكثير.

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية، إنما هو متاع، متاع محدود الأجل، لا يرفع ولا يخفض، ولا يعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة، ولا يعتبر بذاته علامة رضا من الله أو غضب، إنما هو متاع، « وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ »، خير في ذاته، وأبقى في مدته. فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يقاس إلى ما عند الله، ومحدود حين يقاس إلى الفيض المنساب، ومتاع الحياة

الدنيا معدود الأيام، أقصى أمده للفرد عمر الفرد، وأقصى أمده للبشرية عمر هذه البشرية، وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد.

قال الله تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» (آل عمران: ١٤-١٥).

عنْ مُسْتوْرد رضي الله عنه قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «واللهِ ما الدُّنْيا في الآخرة إلا مثْلُ ما يجْعلُ أحدُكمْ إصْبعهُ هذه - وأشار يحْيى بالسَّبابة - في اليمّ فليَنْظرْ بمَ يرْجعُ» (صحيح مسلم ٢٨٥٨).

وعنْ سهل بْن سعْد السّاعديّ رضي الله عنه قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «ولمَوْضعُ سوْط أحدكمْ في الجنّة خيْرٌ من الدُّنيا وما فيها» (صحيح البخاري ٢٨٩٢).

وعنْ أنس بْن مالكٍ رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «لرَوْحةٌ في سبيل الله أوْ غدْوةٌ خيْرٌ من الدُّنْيا وما فيها، ولقابُ قوْس أحدكمْ من الجنّة أوْ موْضعُ قدم خيْرٌ من الدُّنْيا وما فيها، ولوْ أنّ امْرأةً منْ أهْل الجنّة اطّلعتْ إلى أهْل الأرْض لأضاءتْ ما بيْنهُما ولملأتْهُ ريحًا، ولنصيفُها -يعْني الخمار- على رأسها خيْرٌ منْ الدُّنْيا وما فيها» (صحيح البخاري ٦٥٦٨).

ولعل السر في تقرير هذه الحقيقة قبل ذكر الصفات الواجب توفرها في الجماعة التي تعد للقيادة هو تربية هذه الجماعة على الزهد في الدنيا قبل أن يتولوا القيادة، لأن القيادة تمكن من الدنيا، وتمكن من المال، فإذا تولاها الزاهدون لم يغلوا، ولم يختلسوا، ولم ينهبوا، ولم يضيعوا المال العام الذي تقوم به الدولة، وتتحقق به مصالحها.

وبعد تقرير هذه الحقيقة يأخذ في بيان صفات المؤمنين الذين يدخر الله لهم ما هو خير وأبقى.

ويبدأ بصفة الإيمان: «وما عند الله خيْرٌ وأبْقى للذين آمنوا»، وقيمة الإيمان أنه معرفة بالحقيقة الأولى، التي لا تقوم في النفس البشرية معرفة صحيحة لشيء في هذا الوجود إلا عن طريقها، فمن طريق الإيمان بالله ينشأ إدراك لحقيقة هذا الوجود، وأنه من صنع الله، وبعد إدراك هذه الحقيقة يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون وهو يعرف طبيعته، كما يعرف قوانينه التي تحكمه، ومن ثم ينسق حركته هو مع حركة هذا الوجود الكبير، ولا ينحرف عن النواميس الكلية، فيسعد بهذا التناسق، ويمضي مع الوجود كله إلى بارئ الوجود في طاعة واستسلام وسلام. وهذه الصفة لازمة لكل إنسان، ولكنها ألزم ما تكون للجماعة التي تقود البشرية إلى بارئ الوجود.

وقيمة الإيمان كذلك الطمأنينة النفسية، والثقة بالطريق، وعدم الحيرة أو التردد، أو الخوف أو اليأس. وهذه الصفات لازمة لكل إنسان في رحلته على هذا الكوكب، ولكنها ألزم ما تكون للقائد الذي يرتاد الطريق، ويقود البشرية في هذا الطريق.

وقيمة الإيمان التجرد من الهوى والغرض، والصالح الشخصي، وتحقيق المغانم، إذ يصبح القلب متعلقا بهدف أبعد من ذاته، ويحس أن ليس له من الأمر شيء، إنما هي دعوة الله، وهو فيها أجير عند الله! وهذا الشعور ألزم ما يكون لمن توكل إليه مهمة القيادة كي لا يقنط إذا أعرض عنه القطيع الشارد، أو أوذي في الدعوة، ولا يغتر إذا ما استجابت له الجماهير، أو دانت له الرقاب، فإنما هو أجير.

ومن مقتضيات هذا الإيمان التوكل على الله، ولكن القرآن يفرد هذه الصفة بالذكر ويميزها: «وعلى ربهم يتوكلون» وهذا التقديم والتأخير في تركيب الجملة يفيد قصر التوكل على رب صفاته، ويستيقن أنه لا أحد في هذا الوجود يفعل شيئا إلا بمشيئته، وأنه لا شيء يقع في هذا الوجود إلا بإذنه. ومن ثم يقصر توكله عليه، ولا يتوجه في فعل ولا ترك لمن عداه.

وهذا الشعور ضروري لكل أحد، كي يقف رافع الرأس، لا يحني رأسه إلا لله. مطمئن القلب، لا يرجو ولا يرهب أحدا إلا الله. ثابت الجأش في الضراء، قرير في السراء، لا تستطيره نعماء ولا بأساء. ولكن ولكن هذا الشعور أشد ضرورة للقائد، الذي يحتمل تبعة ارتياد الطريق.

وللحديث بقية إن شاء الله عن صفات الجماعة المسلمة في العدد القادم إن شاء الله.

الحلقة السادسة

التمويل بالتورق

إعداد/ **د. علي السالوس**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبشكره تزيد النعم، وله سبحانه الفضل والمنة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعدُ، فقد تحدثنا في الأعداد الأربع السابقة عن «التمويل بالتورق»، وناقشنا التورق عند الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وفي هذا العدد نتحدث- بعون الله تعالى- عن:

المبحث السادس: التورق المصرفي المنظم

انتشرت عمليات التورق في عصرنا بشكل غير مسبوق، وكان للفتوى التي أصدرها مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي في إباحة التورق دور كبير في هذا الانتشار، وعلى الأخص أنه نسب الإباحة لجمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة. وقرر أنه لم يظهر في هذا البيع ربا لا قصدًا ولا صورة.

وبذلك وجدنا كثيرًا من المسلمين لا يتأثمون ولا يتحرجون عند التعامل بالتورق حتى في غير الحاجة فضلًا عن الضرورة.

والمؤتمر الذي أصدر القرار لم يحضره سوى تسعة فقط، ومنهم من عارض.

وفي المؤتمر الأخير، وهو السابع عشر، طلبت إعادة النظر في القرار، فجمهور العلماء يمنعون التورق ولا يجيزونه، وذكر فضيلة الشيخ القرضاوي أنه حضر ذلك المؤتمر وعارض القرار، ويبدو أن الأبحاث التي قدمت تأثرت بالموسوعة الكويتية.

> انتشرت عمليات التورق في عصرنا بشكل غير مسبوق، وكان للفتوى التي أصدرها مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي في إباحة التورق دور كبير في هذا الانتشار، وعلى الأخص أنه نسب الإباحة لجمهور العلماء، مع أن جمهور العلماء يمنعون التورق.

ثم فوجئنا ببعض البنوك الإسلامية، التي هي فروع لبنوك ربوية، تستند أساسًا إلى هذه الفتوى، في تطبيق أداة تمويلية جديدة تعتمد على التورق، فما حقيقة هذا التمويل؟ وكيف يطبق؟

اطلعت على نشرة تعريفية أصدرها البنك الأهلي التجاري بالسعودية (الخدمات المصرفية الإسلامية)، ووصلني بحث عن تطبيقات التورق واستخداماته في العمل المصرفي الإسلامي للدكتور موسى آدم عيسى الذي يعمل بالإدارة التي أصدرت النشرة. ووجدت في البحث ما يغني عن النشرة تمامًا، ولذلك رأيت الاكتفاء بهذا البحث، والذي يعنينا منه هو بيان التطبيقات العملية للتورق من خلال المصارف.

تحدث السيد الباحث عن ثلاثة نماذج يجري تطبيقها كليًا من خلال الجهاز المصرفي:

النموذج الأول: وهو التورق في مرابحات السلع الدولية مع المؤسسات المالية:

وهذا النموذج الذي ذكره السيد الباحث لا يدخل ضمن التورق، فالمصارف الإسلامية تشتري نقدًا، وتبيع بالأجل مع زيادة البيع الآجل عن البيع الحال.

والمشتري من المصرف مؤسسة

مالية تجارية، تريد من الشراء ربح التاجر لا خسارة المتورق، أو تريد السلعة إن كانت من مستهلكيها، وهذا بعيد عن التورق. ولذلك لا أتحدث عن هذا النموذج. ومن خبرتي مدة خمس عشرة سنة في أعمال المصارف الإسلامية، ومراجعتي لعمليات السلع والمعادن في أماكن تنفيذها في أوربا خلال تلك السنوات، اكتشفت أن كثيرًا من هذه العمليات تستوفي الشكل الظاهري فقط للضوابط الشرعية، وتكون في حقيقتها قروضًا ربوية وليست تورقًا، ولا بيعًا ولا شراءً.

ولقد نبهت لهذا، وألغيت بعض العمليات، وتقرر الخروج من هذه المنطقة الموبوءة تدريجيًا، والبحث عن مجالات أخرى للاستثمار تكون بديلًا مناسبًا.

فهل يتم هذا؟

ثم تحدث السيد الباحث عن النموذج الثاني، وهو استخدام التورق في التمويل الشخصي، فقال: طورت بعض المصارف التورق وقدمته بأسماء مختلفة؛ مثل تيسير الأهلي الذي يقدمه البنك الأهلي التجاري كصيغة يتم استخدامها في تمويل الأفراد الراغبين في الحصول على السيولة النقدية.

وتقوم صيغة التورق التي طورها البنك الأهلي على أساس قيام البنك بشراء سلعة وامتلاكها، ثم بيعها للعملاء بالتقسيط، مع توفير الإمكانية للعملاء لتوكيل البنك لإعادة بيع السلعة نيابة عنهم وقيد ثمنها في حساباتهم.

وفيما يلي تحليلًا للإجراءات التي تتم بها العملية:

أولًا: يوقع البنك اتفاقية مع شركة معينة تسمى اتفاقية شراء سلع. وهذه الاتفاقية تمثل الإطار العام الذي ينظم العلاقة بين البنك باعتباره مشتريًا وبين شركة معينة باعتبارها بائعًا.

وتتم عمليات الشراء عن طريق قيام البنك بطلب كمية معينة من سلعة محددة مثل الحديد أو الألمونيوم بمبلغ معين وذلك بالاتصال بالشركة وطلب الكمية المذكورة طبقًا لشروط الاتفاقية الموقعة بين الطرفين، ثم يتم تبادل الإيجاب والقبول بين الطرفين بالفاكسات، والفارق الوحيد هو أن البنك يشتري البضاعة لنفسه ولا يوكل مؤسسة خارجية لتتولى عمليات البيع نيابة عنه.

ولتحقيق مطلب القبض تصدر الشركة البائعة شهادة ملكية تفيد بقيد كميات المعدن المشترى من قبل البنك إلى حساب البنك وفقًا لتواريخ الشراء التي جرت.

وتتضمن هذه الشهادات إقرارًا من قبل الشركة البائعة بأن ملكية المعدن المشترى للبنك هي للبنك منذ يوم الشراء، وأن كمية المعدن المشترى سيتم تعيينها عن طريق رقم الصنف للمعدن الذي وقع عليه البيع وتحديد مكان وجوده. ويكون المعدن في حساب لصالح البنك إلى أن تتسلم الشركة تعليمات أخرى، ويكون البنك مسئولًا عن تسديد أجور التخزين والحراسة فيما إذا تأخر البنك عن التسليم في التاريخ المحدد.

ثانيًا: بعد امتلاك البنك للسلع كما ذكر يبدأ البنك عندئذ التصرف في البضاعة ببيعها لعملائه، فيقوم البنك في هذه الحالة بإدخال كمية السلعة المشتراة على نظام الحاسب الآلي بحيث تستطيع الفروع البيع منها للعملاء، ويتيح الحاسب الآلي بأن يتم إنقاص أي كمية يتم بيعها للعملاء من الرصيد الذي يمتلكه البنك من هذه السلعة.

أما عملية البيع فتتم وفقًا لإجراءات متسلسلة على النحو الآتي:

يتقدم العميل بطلب لشراء سلعة بالتقسيط، وعند قبول الطلب يتم إفادة العميل من قبل الموظف المختص بأن على العميل توقيع عقد البيع، كما يفاد العميل بأنه بتوقيعه على عقد البيع يكون قد امتلك كمية معينة من المعدن طبقًا للمواصفات المحددة في العقد ومكان وجوده، كما يفاد العميل

> **تقوم صيغة التورق التي طورها بعض البنوك التي تعمل به على أساس قيام البنك بشراء سلعة وامتلاكها، ثم بيعها للعملاء بالتقسيط مع توفير الإمكانية للعملاء لتوكيل البنك لإعادة بيع السلعة نيابة عنهم وقيد ثمنها في حسابهم.**

بأن له حرية التصرف فيما اشتراه، فإن شاء تسلم المعدن، وأما إذا رغب في توكيل جهة أخرى لبيع المعدن نيابة عنه فله ذلك الحق أيضًا، وله إن شاء أن يوكل البنك في إعادة بيع السلعة نيابة عنه وقيد ثمنها في حسابه، وذلك يتطلب منه أن يوقع على عقد وكالة يفوض البنك بموجبه القيام بذلك.

ثالثا: بعد اكتمال عمليات البيع للعميل يتم رصد أسماء الأشخاص الذين اشتروا من البنك،كما يتم تحديد الكميات التي اشتراها كل واحد منهم. ويتولى البنك بيع تلك الكميات إلى طرف ثالث وذلك بموجب عقود الوكالة الموقعة من هؤلاء العملاء.

وتتم إجراءات البيع نيابة عن العملاء عن طريق توقيع اتفاقية شراء بين البنك واحدى الشركات، وهذه الاتفاقية هي إطار عام ينظم العلاقة بين الطرفين، وتجري عملية البيع عن طريق تبادل الإيجاب والقبول عبر الفاكسات، حيث يتم تحديد الكميات المعروضة للبيع، والثمن، وشروط البيع.

وعند اكتمال تبادل الإيجاب والقبول وانعقاد البيع يتم تحويل الثمن إلى حساب البنك الذي يتولى فيما بعد قيده في حسابات العملاء لديه طبقا لكميات وأسعار السلع التي تم بيعها نيابة عنهم، ويحيل البنك الشركة المشترية منه لقبض المعدن من الشركة التي اشترى منها.

وبعد هذا ذكر السيد الباحث أن الخطوات والإجراءات المتبعة تستوفي الجوانب الشرعية من وجهة نظره، ثم ذكر قرار الهيئة الشرعية للبنك الذي أجاز منتج تيسير الأهلي.

ثم تحدث عن النموذج الثالث: وهو استخدام التورق لتمكين العملاء من تسديد مديونياتهم لدى المصارف التقليدية.

وقال: في حال كون تلك المديونيات هي للمصرف الذي يقدم التمويل للعميل (ينطبق على المصارف التي لديها نوافذ إسلامية) ففي هذه الحالة فإن المصرف سيقوم بقلب الدين الذي على العميل من قرض ربوي إلى دين آخر ينشأ عن طريق التورق.

وهذه الصورة هي التي يسميها الفقهاء بـ قلب الدين على المدين.

ثم ذكر قرار الهيئة الشرعية للبنك الأهلي الذي أجاز هذه المعاملة أيضًا!!

هذا ما جاء في بحث الدكتور موسى آدم.

ثم اطلعت على بحث الدكتور عبد الله السعيدي، ولا أريد أن أناقش بحثه، ولكن أريد أن أستفيد منه فيما ذكره نتيجة اطلاعه على عدة عقود للتمويل بالتورق، وهو ما لم يتيسر لي.

وما ذكره هو ما يأتي:

- ليس في العقد ما يعين السلعة بالرقم، وكل ما فيها هو تحديد النوع، والكم، والوصف.
- اشتراط تحميل العميل من ٧٠٠ إلى ٢٠٠٠ ريال، تختلف باختلاف البنك والمعاملة.
- بعض البنوك تدفع رسمًا لمن يشتري منها في الخارج في حدود ١٠٠ دولار مقابل قيامه بشراء سلع المتورقين منها بسعر التكلفة.
- توكيل البنك للعميل في صورة من صور تورق الشركات بشراء السلعة نيابة عنه، ثم بيعها على نفسه.
- الربح مقارب لربح المرابحة.

البنوك تستثمر في التورق من ٥ إلى ١٠ مليون دولار يوميًا.

هذا بعض ما جاء في بحث الدكتور السعيدي.

ولمناقشة هذه التطبيقات فإننا نكمل في الحلقات التالية إن شاء الله تعالى.

عـــزاء

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لفضيلة الشيخ أبي الحسن المأربي في وفاة والدته، سائلين الله عز وجل أن يغفر لها ويرحمها ويسكنها فسيح جناته، وأن يلهم أهلها الصبر والسلوان.

تذكير الأحبه بحجية السُنة

الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أحبتي في الله: لقد ناقشنا في العددين السابقين حُجية السنة النبوية المطهرة من خلال دراسة حديث العرباض تحقيقًا وشرحًا، وأكدنا صحة الحديث من خلال كلام أهل العلم. وناقشنا المنكرين لحجية السنة النبوية؛ من خلال إنكارهم للمفهوم الشرعي للسنة النبوية والملزم بحجيتها. وفندنا شبهاتهم في ذلك، واليوم بحول الله وقوته نرد على ما يتيسر لنا الرد عليه من شبهات حول هذا المفهوم العقدي – أعني: مفهوم أن السنة حجة كالقرآن– والتي أثارها في هذه الأيام المتأخرة نابتة سوء سارت وراء أسلافها ممن طعن في السنة ،قديما ، من الخوارج، والمعتزلة، والروافض، ومن جرى مجراهم من أهل البدع والأهواء والضلال فنقول مستعينين بالله:

إعداد/ د . مرزوق محمد مرزوق

١- شبهة والرد عليها

يقول المخالفون المنكرون لحجية السنة: نحن نكتفي بالقرآن ولا حاجة لنا بالسنة، ففي القرآن غنية وكفاية، فقد احتوى على كل شيء، واستدلوا بقوله تعالى: « مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ » (جزء من الآية ٣٨ من سورة الأنعام)، وما في معناها.

وللجواب على هذه الشبهة نقول:

أولا: لا يُسَلَّم لهم بهذا التفسير الذي فسَروا به هذه الأية.. فعلى سبيل المثال يرد علماء التفسير على فهم المخالفين لمثل هذه الآيات فيقولون في قوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَاب مِنْ شَيْءٍ»: إن المراد من الكتاب اللوح المحفوظ الذي حوى كل شيء على التفصيل التام كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء"(مسلم: ٢٦٥٣). (أفاده الإمام الطبري في تفسيره ج ٧ ص ١٨٨) (وانظر: حجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص٣٨٤، ٣٨٥). وعلى ذلك يقاس باقي كلامهم.

ثانيا: ولو افترضنا أن المقصود في الآية هو القرآن؛ فإننا نقول: **لم يفرط ربنا عز وجل في كتابه في شيء من أمور الدين على سبيل الإجمال**، ومنِ بين ما لم يفرَط في بيانه وتفصيله إجمالا بيان حجية السنة، ووجوب التحاكم إليها كما سيأتي بيانه. (ينظر: السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبي: ١٨-٢٤).

٢- ومن شبهاتهم: عرض السنة على كتاب الله

واعتمدوا في هذا على بعض الروايات التي تؤدي كلها إلى معنى واحد نذكر منها -على

سبيل المثال- زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله..." فما وافق القرآن؛ فهو من السنة، وما زاد على القرآن؛ فهو ليس من السنة

الجواب على هذه الشبهة:

١- لماذا خالف هؤلاء منهجهم واحتجوا بالحديث وهم لا يرون الاحتجاج به أصلاً؟

أهو رفض الحق لأجل جحوده فقط، كما قال تعالى: (وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) (النور: ٤٩- ٥٠). أم عدم فهم للأدلة ؟!

٢- وعلى فرض التنزل مع الخصم نقول: إن القاعدة تنص على أن الاحتجاج فرعٌ للصحة لا العكس، فكيف يحتج بما لا يثبت؟ كما قرر ذلك الإمام الشافعي ونقله عنه الإمام البيهقي في دلائل النبوة (١/٢٧)، يقول الشافعي: "احتج على بعض من رد الأخبار بما روي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله"، فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وانما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء، ثم قال البيهقي معلقًا: أشار الإمام الشافعي إلى ما رواه خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر فذكره، ثم قال البيهقي: خالد مجهول، وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع، ثم راح البيهقي يفصل طرق هذا الحديث فقال: وقد رُوي الحديث من أوجه أخر كلها فيها مقال.

٣- أما المتن فمعلول أيضًا، ويحمل الدليل على وضعه بين طياته، فإن حديثهم المزعوم بطلب عرض أقوال النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن، فإن وافقه كان حديثا، وإلا فلا، وهذا ما فعله العلماء، ثم قالوا: عرضنا حديث العرض على كتاب الله تعالى فوجدناه مكذوبًا، فإنا لم نجد آية في كتاب الله تعالى تطلب منا عرض أقوال نبيه صلى الله عليه وسلم على القرآن، بل وجدنا عكس ذلك، وجدنا القرآن الكريم يطلب طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم بصفة مطلقة وبشكل قاطع، وبدون هذا العرض المزعوم، كما في قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر: ٧) (أفاده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج٢/١٩٠) نقلاً عن عبد الرحمن بن مهدي رحمهم الله جميعًا).

٣- ومن شبهاتهم عرض السنة النبوية على العقل

واعتمدوا في هذا أيضا على روايات تؤدي كلها إلى معنى واحد نذكر منها - على سبيل المثال - ما نسبوه لأبي هريرة أنه قال: قال رسول الله: «إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه، قلته أو لم أقله، فصدقوا به، واني أقول ما يُعرف ولا يُنكر، واذا حدثتم عني بحديث تنكرون لا تعرفونه، فكذبوا به، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف» فما وافق عقول هؤلاء الناس؛ فهو من السنة حتى ولو لم يقله النبي فعلاً، وما خالف تلك العقول، فكذب ليس من سُنة النبي، ولم يقله حتى ولو جاء متواترًا صحيحًا فالحجة عندهم في تلك العقول لا في السنة النبوية المطهرة.

وللجواب عن الحديث نقول:

١- هذا الحديث روي من طرق مختلفة كلها ضعيفة

لا يصلح شيء منها، بل ولا بمجموعها للاحتجاج والاستشهاد، وفي بيان ذلك يقول الإمام البيهقي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص٣٩) قال ابن خزيمة: في صحة هذا الحديث مقال، لم نر في شرق الأرض ولا غربها

> **إن خطورة منكري السنة تكمن في أنهم لا يصارحون الناس بداية بأهدافهم، وانما يتدرجون شيئاً فشيئا مظهرين للناس أنهم ناصحون حتى يصلوا إلى بغيتهم، لعلمهم أنهم لو صارحوا الناس بما يريدون لردهم الناس.**

أحدًا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة.." ا.هـ.

وفي علل ابن أبي حاتم ج٢ ص٣١٠ قال: قال أبي: هذا حديث منكر، الثقات لا يرفعونه (أي: لا يرفعون إسناده فوق المقبري)، وقال العقيلي في الضعفاء ج١ص٣٢: ليس له إسناد يصح، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (ج١ص٢٥٧)، ثم يذكر لنا الإمام ابن حزم في الإحكام (ج٢ص٢١٣) دليلا عقليا يشهد لبطلان الحديث؛ لما فيه من إباحة الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه حكى عنه أنه قال: "قلته أو لم أقله فأنا قلته أي: فكيف لم يقله النبي ويأمر بتصديقه كأنه قاله).

٢- قلت: وعلى فرض صحة الخبر جدلا ، فلا سبيل إلى أن يُفهم منه ما تدفعه القواطع، فمن المقطوع به، أن معارف الناس وعقولهم وآراءهم وأهواءهم تختلف اختلافا شديدًا، وبهذا يُعلم أن ما يعرض للسامع من قبول واستبشار، أو نفور واستنكار. قد يكون حيث ينبغي، وقد يكون حيث لا ينبغي، ثم إن الله جعل العقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه.

٣- فائدة: وهنا يرد سؤال لتتمة الرد على هذه الشبهة، وهو: أيهما الحاكم على الآخر النقل أم العقل؟

الجواب

من المقرر عند أهل العلم، وكذا من المعلوم من الدين بالضرورة، أنه لا حاكم على المكلفين سوى الله ولا حكم إلا ما حكم به الله، وقد قال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (الآية ٥٠ من سورة المائدة)، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة، (ولمزيد من التفصيل ينظر الإحكام للآمدي (٧٦/١)، وكتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله (٣٣٩/٧)، فقد ناظر واحدًا من هؤلاء ممن ردوا الأخبار بعقولهم ودحض لهم حججهم فلتراجع.

وختامًا:

لقد تجمع لدينا من الأدلة النقلية على حجية السنة ما ذكرنا بعضه في الحلقات السابقة، وما أفاض فيه فضيلة الرئيس العام في افتتاحية عدد المحرم ١٤٣٦هـ وصفر الذي بين أيدينا فليراجع منعًا للتكرار، وعليه فإننا نركز فيما بقي من سطور على الأدلة العقلية تنزلاً مع حال المنكر الذي لا يؤمن بالنقل، ويزعم أنه يفهم ويحكم بالعقل، وذلك من خلال طرح بعض الأسئلة على المنكر لحجية السنة وندع الجواب للسان العقل الذي يزعم:

١- قال تعالى في فريضة الصلاة: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور:٥٦).

وهنا نسأل كيف نقيم الصلاة؟، وما عددها؟ وما أوقاتها؟ وما هي تفاصيلها عموما؟ وكيف يدخل فيها؟ وكيف يخرج منها؟

الجواب: إما الاكتفاء بما جاء في القرآن من إشارات إلى الصلاة وأهميتها، وأثرها في النفس دون أن نصلي، وإما أن نصلي بالصلاة التي علمنا إياها رسول الله في سنته المطهرة وهذا يحتم علينا الرجوع للسنة والأخذ بها.

وما قيل في الصلاة يقال في سائر الأحكام التي استقلت السنة ببيانها كالزكاة والصيام والحج ونحن نتساءل: هل لكم في معرفة سائر هذه العبادات سبيل آخر؟

٢- كما أن هناك حالات كثيرة نتساءل أيضا عن حكمها عند من ينكر السنة، ومن أوضح هذه الأسئلة: هل يمكن للواحد منكم أن يتزوج المرأة على عمتها أو خالتها ويجمع بينهما وقد عرفتم أن الله أحل للرجل أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع؟!

> إن منكري حجية السنة قد خالفوا الأدلة النقلية والعقلية وإجماع المسلمين ولولا خطر السماوات المفتوحة عبر شاشات التليفزيون، وشبكة المعلومات لكنا أعرضنا عن هؤلاء ووفرنا أوقاتنا للأهم لأن البديهيات لا تحتاج إلى براهين.

سيقول بلسان الواثق: بالطبع لا، نقول له: فمن أين أتيت بهذا والقرآن لم ينص على هذا التحريم؟! وغير ذلك كثير من الأحكام مما لا يتسع المقام لسرده، ونحيل فيه على من توسع فيه من أهل العلم كالإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله والإمام الشاطبي في الموافقات وغيرهم.

٣- إن لسان العقل يجيب على جميع ما سبق بما أجاب به أسلافنا رضي الله عنهم بقولهم: **إنه يتحتم شرعاً وعقلا أن يحتاج القرآن للسنة لتفصيل مجمله وتوضيح مشكله وتقييد مطلقه، أو تخصيص عامه كما أن السنة قد تستقل بكثير من الأحكام كما سبق الإشارة إلى ذلك.**

وفي بيانه لذلك ينقل ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/١٩١)، عن الأوزاعي قوله: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب". قال ابن عبد البر: "يريد أنها تقضي عليه - أي تفصل ما فيه - وتبين المراد منه". فلا يفهم من ذلك تقديم السنة علي القرآن لذا لا نجد ختاما أفضل مما قاله الامام الطبري في تفسيره ج١/ص٣٩) عند قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم): بأن هناك مبيِّنا ومبيَّنا، ونحن الآن نتساءل أين المبيِّن والمبيَّن به؟ نحن لا نجد جوابا إلا أن نقول: السنة مبينة للقرآن. فإن كان عندكم جواب غير هذا فلتظهروه لنا وكذا ما قاله الامام ابن القيم عليه رحمة الله في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٩٧- ١٠٤) في تفسيره لنفس الآية ما مختصره: أن البيان اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع:

أحدها: بيان نفس الوحي الذي أوحى به الله تعالى بظهوره على لسانه صلى الله عليه وسلم بعد أن كان خفيا.

الثاني: بيان المشكل وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك، كما بين أن الظلم المذكور في قوله تعالى: ((ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)) (الأنعام: ٨٢)، قال صلى الله عليه وسلم هو الشرك (البخاري ١ / ٢١).

الثالث: بيانه صلى الله عليه وسلم بفعله كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله.

الرابع: بيانه صلى الله عليه وسلم ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن، فينزل القرآن ببيانها، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره (مسلم: ج ٢ ص ١١٣٣).

الخامس: بيانه صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه بالوحي أيضا لكن بما ليس قرآنا، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق، فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويزيل أثر الخلوق (البخاري: ج ٢ ص ٥٥٧).

السادس: بيانه صلى الله عليه وسلم للأحكام بالسنة ابتداءً من غير سؤال كما حرم عليهم المتعة (البخاري: ج ٥ ص ١٩٦٦).

السابع: بيانه صلى الله عليه وسلم للأمة جواز الشيء بفعله هو له، وعدم نهيهم عن التأسي به أو إقراره للصحابة على فعله وكذلك بيان إباحة الشيء بالسكوت عن تحريمه لأنه إن سكت عن تحريم الحرام فإنه لم يؤد الأمانة ولم يبلغ الرسالة وقد أدى وبلغ صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي.

الثامن: أن يحكم القرآن بشيء ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وأوصاف، فيحيل ربنا تبارك وتعالى على رسوله في بيانها؛ كقوله تعالى: (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ) (النساء:٢٤)، فالحل موقوف على شروط النكاح، وانتفاء موانعه، وحضور وقته، وأهلية المحل، فجاءت السنة ببيان ذلك كله وفي هذا القدر الكفاية.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

> **نقل الإمام ابن عبد البر عن الأوزاعي قوله: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب" وقال ابن عبد البر: "يريد أنها تقضي عليه - أي تفصل ما فيه - وتبين المراد منه".**

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٢٨)

إعداد/ علي حشيش

٢٧٤ - «مَا مِنْ شَيْءٍ إلا لَهُ تَوْبَةٌ إلا صَاحِبَ سُوءِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّهُ لا يَتُوبُ مِنْ ذَنْبٍ إلا عُادَ فِي شَرٍّ مِنْهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ح٥٥٣) من حديث عائشة مرفوعًا، وفيه عمرو بن جُميع، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٢٥١/٦٣٤٥): «عمرو بن جميع كذّبه ابن معين، وقال الدارقطني وجماعة: متروك، وقال ابن عدي يُتهم بالوضع، وقال البخاري: منكر الحديث». اهـ.

٢٧٥ - «لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِلْجَبَلِ طَارَتْ لِعَظَمَتِهِ سِتَّةُ أَجْبُلٍ، فَوَقَعَتْ ثَلاثٌ بِمَكَّةَ وَثَلاثٌ بِالْمَدِينَةِ، فَوَقَعَ بِالْمَدِينَةِ: أُحُدٌ، وَوَرْقَانُ، وَرَضْوَى، وَوَقَعَ بِمَكَّةَ: ثَبِيرٌ، وَحِرَاءُ، وَثَوْرٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ح٨٩٣٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٤٤٠، ٤٤١) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته: عبد العزيز بن عمران أبو ثابت المدني، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٢٣): «منكر الحديث، لا يُكتب حديثه». وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٩٣): «متروك الحديث»، وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» (٦٠٧) للإمام يحيى بن معين قال: «وسألته عن ابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران من ولد عبد الرحمن بن عوف ما حاله؟ فقال: ليس بثقة، وإنما كان صاحب شعر». اهـ.

٢٧٦ - «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإنَّ الأجر في ذلك كأجر المجاهدة في سبيل الله، وأنَّه ما من عمل أحبَّ إلى الله تعالى من جوع وعطش».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٧٨) مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/٧٨): «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٢٧٧ - «مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَةِ يس كُلَّ لَيْلَةٍ، ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ شَهِيدًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الصغير» (٢/٨٨) وفي «المعجم الأوسط» (٨/١٢) (ح٧٠١٤) عن أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا معمر، ولا عن معمر إلا رباح، ولا عن رباح إلا سعيد بن موسى تفرد به ابن حفص». اهـ. وأخرجه الحافظ الخطيب في «التاريخ» (٣/٢٤٥/١٣٣٠) قال: حدثنا محمد بن

عبد الله بن شهريار الأصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني به، وعلته سعيد بن موسى الأزدي الحمصي، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٩٧/٧): «رواه الطبراني في الصغير وفيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذاب». قلت: ورواه أيضًا في الأوسط كما بينا وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٢٨٠/١٥٩/٢): «اتهمه ابن حبان بالوضع»، ولقد بيّن ذلك ابن حبان في «المجروحين» (٣٢٢/١).

٢٧٨- «الدُّنيا قَنْطرةٌ، فاعْبُرُوها ولا تَعْمُرُوها».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الصاغاني في «الموضوعات» (ح١٣) وقال: «موضوع».

٢٧٩- «إنَّ الله يَبْغضُ ابْنَ السَّبْعينَ في هَيْئة ابْن عشْرينَ، في مشْيَته، ومَنْظره».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٦/٦) (ح٥٧٧٨) من حديث أنس بن مالك، مرفوعًا قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به موسى بن محمد بن إبراهيم». اهـ.

قلت: فهذا الحديث «فرد مطلق» قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٤/٤): «الفرد المطلق: هو الحديث الذي لا يُعرف إلا من طريق ذلك الصحابي، ولو تعددت الطرق إليه». اهـ. وعلته موسى بن محمد بن إبراهيم، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٥٦): «منكر الحديث»، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٤١/٢): «ساقط الاحتجاج به». اهـ.

وعلة أخرى يحيى بن العلاء، قال أحمد بن حنبل: كذاب يضع الحديث. ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٥٩١/٣٩٧/٤).

٢٨٠- «إنَّ هؤلاء النَّوائح يُجْعلْن يوْم القيامة صفَّيْن في جهنَّم، صفٌّ عنْ يمينهمْ، وصفٌّ عنْ يسارهمْ، فيَنْبحْن على أهْل النَّار كما ينْبحُ الكلابُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (١١٠/٦) (ح٥٢٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال الطبراني: «لم يروه عن يحيى بن أبي كثير إلا سليمان بن داود اليمامي». اهـ.

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٤٤٩/٢٠٢/٢): سليمان بن داود اليمامي أبو الجمل صاحب يحيى بن أبي كثير، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: «منكر الحديث»، وقد مر لنا أن البخاري قال: «من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل رواية حديثه». اهـ.

حرمة الدماء

الحمدُ لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام ديناً ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً. في ظل الظروف التي تمر بها أمتنا، وحرصًا منا على استتباب الأمن واستقرار البلاد، يأتي هذا المقال، والذي نتناول فيه حرمة الدماء، ومنزلتها في الشريعة الإسلامية المطهرة، وكيف صان الإسلام دماء المسلمين والمستأمنين، وأهل الذمة والمعاهدين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ **صلاح نـجيب الدق**

حرمة الدماء وصية رب العالمين:

(١) قال الله تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء: ٩٣)، قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): هَذا تَهْديدٌ شديدٌ ووَعيدٌ أكيدٌ لِمَنْ تعاطى هذا الذنْب العظيم، الذي هُو مقرُونٌ بالشرْك بالله في غير ما آية في كتاب الله. (تفسير ابن كثير جـ٤صـ١٩٩).

(٢) وقال سبحانه: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: ٣٢)، قال عَبْدُ الله بْنُ عبَّاس(رضي الله عنهما): مَنْ قتل نبيًا أوْ إمَامَ عَدْل فكأنما قتل النَّاسَ جميعًا، وَمَنْ شَدَّ عَضُدَ أحَد فكأنما أحيَا النَّاسَ جميعًا. (تفسير الطبري جـ١٠صـ٢٣٣).

وقَالَ مُجَاهِدٌ(رحمه الله): مَنْ قَتَلَ نفسًا مُحرَّمَةً يَصْلَى النَّارَ بِقَتْلِهَا كَمَا يَصْلَاهَا لَوْ قتل النَّاسَ جميعًا (وَمَنْ أحْيَاهَا): أيْ مَنْ سَلِمَ منْ قَتْلِهَا فكأنما سَلِمَ من قَتْل النَّاس جميعًا. (تفسير البغوي جـ٣صـ٤٦).

قالَ الإمامَ ابنُ حجر الهيتمي(رحمه الله): جعل قَتْلُ النَّفْس الوَاحِدَةِ كقتل جميع النَّاس مُبالغة في تعْظيم أمْر القَتْل الظُّلم وتفْخيمًا لشأنه: أيْ كمَا أنَّ قَتْل جميع النَّاس أمْرٌ عظيمُ القُبْح عنْد كل أحد فكذلك قتْلُ الوَاحد يجبُ أنْ يكونَ كذلك، فالمُرادُ مُشارَكتُهُمَا في أصْل الاسْتعْظام لا في قدْره، إذْ تشْبيه أحد النَّظيرَيْن بالآخر لا يقْتضي مُساوَاتهُمَا من كل الوُجُوه، وأيْضًا فالنَّاسُ لوْ علمُوا منْ إنسَان أنه يُريد قتلهُمْ جدُّوا في دفْعه وقتْله، فكذا يَلْزمُهُمْ إذا عَلمُوا منْ إنْسانٍ أنَّهُ يُريدُ قتْل آخر ظلْمًا أنْ يجدُّوا في

دفعه، فمن قتل إنسانا ظلما فكأنما قتل جميع الناس بهذا الاعتبار. (الزواجر لابن حجر الهيتمي جـ٢صـ١٩٤).

(٣) وقال سبحانه: (وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ١٥١).

(٤) وقال سبحانه: (وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ) (التكوير٩:٨).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): المَوْءُودَةُ: هي التي كان أَهْلُ الجاهليّة يدسُّونها في التُّراب كراهية الْبَنَات، فيوْم القيامة تسْأل المَوْءودة على أيّ ذنب قُتلت، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سُئل المظْلوم فما ظنُّ الظالم إذا؟! (تفسير ابن كثير جـ١صـ٢٦٣).

اجتناب الدماء المحرمة من صفات عباد الرحمن

قال سبحانه عند الحديث عن صفات عباد الرحمن: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الفرقان: ٦٨:٧٠).

القصاص فيه حياة للناس:

قال سبحانه: (وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩)، قال أبو العالية: جعل الله القصاص حياة، فكمْ منْ رجل يريد أنْ يقتل، فتمْنعُهُ مخافة أنْ يُقتل. (تفسير ابن كثير جـ٢صـ١٦٦).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): يقولُ تعالى: وفي شرْع القصاص لكمْ - وهو قتْل القاتل - حكمة عظيمة لكمْ، وهي بقاءُ المُهج وصوْنها؛ لأنَّهُ إذا علم القاتل أنَّهُ يُقتل انْكف عنْ صنيعه، فكان في ذلك حياة النُّفوس. وفي الكُتب المُتقدمة: القتل أنْفى للقتْل. فجاءتْ هذه العبارة في القرآن أفصح، وأبلغ، وأوْجز. (تفسير ابن كثير جـ٢صـ١٦٦).

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قوْلُهُ تعالى(يا أولي الألْباب لعلَّكمْ تتقون) يقول: يا أولي العُقول والأفهام والنُّهى، لعلَّكمْ تنْزجرون فتتْركون محارم الله ومأثمهُ. والتَّقوى: اسْمٌ جامعٌ لفعْل الطَّاعات وترْك المُنكرات. (تفسير ابن كثير جـ٢صـ١٦٦).

عنْ عبْد الله بْن مسعود، قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحلُّ دمُ امْرئٍ مُسْلم، يشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنّي رسُول الله، إلا بإحْدى ثلاث: النَّفْسُ بالنَّفْس، والثَّيبُ الزَّاني، والمارقُ من الدّين التَّاركُ للجماعة » (البخاري حديث: ٦٨٧٨، ومسلم حديث: ١٦٧٦).

قال الإمامُ ابنُ رجب الحنبلي (رحمه الله): هذه الثَّلاث خصال هي حقُّ الإسْلام التي يُسْتباحُ بها دمُ منْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسُول الله، والقتْل بكُل واحدة منْ هذه الخصال الثَّلاث مُتَّفقٌ عليْه بيْن المُسْلمين. (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي صـ١٣٤).

تنفيذ أحكام القصاص: يقوم بتنفيذ أحكام القصاص الحاكم أو نائبه. ولا يجوز أن يقوم بذلك أحدٌ من عامة المسلمين.

حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة:

روى الترمذيُّ عنْ نافع، قال: نظر ابْنُ عُمر يوْمًا إلى الكعْبة فقال: ما أعْظمك وأعْظم حُرْمتك، والمُؤْمنُ أعْظمُ حُرْمةً عنْد الله منْك. (حديث حسن صحيح. صحيح الترمذي للألباني حديث: ١٦٥٥).

الكعْبة، هي بيتُ الله الحرام، لها شرفٌ وقدْرٌ عظيمٌ عند الله تعالى، ولكن المؤمن أعظمُ حُرْمةً عنْد الله من الكعبة التي هي قبلة المسلمين.

نبينا صلى الله عليه وسلم يحذرنا من سفك الدماء بغير حق:

(١) عنْ أبي هُريْرة رضي الله عنْه، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « اجْتنبُوا السَّبْع المُوبقات(هي المُهْلكات) »، قالوا: يا رسُول الله وما هُنَّ؟ قال: « الشّرْكُ بالله، والسّحْرُ، وقتْلُ النَّفْس الَّتي حرَّم الله إلا بالحق، وأكْلُ الرّبا، وأكْل مال اليتيم، والتَّولّي يوْم الزَّحْف، وقذْفُ المُحْصنات المُؤْمنات الغافلات » (البخاري حديث: ٢٧٦٦، ومسلم حديث: ٨٩).

(٢) عن عبْد الله بْن عُمر، رضي الله عنْهما، قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: « لنْ يزال المُؤْمنُ في فسْحة منْ دينه(مطمئن النفس في سعة من رحمة الله)، ما لمْ يُصبْ دمًا حرامًا ». (طالما أنه لم يقتل نفسا بغير حق) (البخاري حديث: ٦٨٦٢).

(٣) عنْ أنس بْن مالك، قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: « منْ صلَّى صلاتنا واسْتقْبل قبْلتنا، وأكل

ذبيحتنا فذلك المسلمُ الَّذي لَهُ ذمّةُ اللهِ (أمانه وضمانه) وذمّةُ رسوله، فلا تخفروا الله(تغدروا به وتنقضوا عهده) في ذمّته» (البخاري حديث: ٣٩١).

(٤) عنْ عبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنْه، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى الله عليْه وسلّم: «لا تُقْتلُ نفْسٌ ظلْمًا، إلا كان على ابنِ آدم الأوّلِ كفْلٌ منْ دمها (نصيب من إثم قتلها)، لأنّه أوّلُ منْ سنّ القتْل» (البخاري حديث: ٣٣٣٥، ومسلم حديث: ١٦٧٧).

(٥) عن أبي سعيد الخُدْريّ، وأبي هُريْرة أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لوْ أنّ أهْل السّماء والأرْض اشْتركوا في دم مُؤْمن لأكبّهُمُ اللهُ في النّار» (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث: ١١٢٨)

(٦) روى الترمذيُّ عنْ عبْد الله بْن عمْرو بن العاص، أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لزوالُ الدُّنْيا أهْونُ على الله منْ قتل رجُل مُسلم» (حديث صحيح، صحيح الترمذي للألباني حديث: ١١٢٦).

(٧) عنْ أبي الدّرْداء قال: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليْه وسلّم يقُولُ: «كلُّ ذنْب عسى اللهُ أنْ يغْفرهُ، إلا منْ مات مُشْركًا، أوْ مُؤْمنٌ قتل مُؤْمنًا مُتعمّدًا» (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٥٨٨).

قال العزيزيُّ (رحمه الله): قوْلُهُ صلى الله عليه وسلم(أوْ مُؤْمنٌ قتل مُؤْمنًا مُتعمّدًا) هذا محْمُولٌ على منِ اسْتحلّ القتْل أوْ على الزّجْر والتّنْفير. (عون المعبود جـ١١ صـ٢٣٦).

(٨) عنْ أُسامة بْن زيْد بْن حارثة، رضي الله عنْهما، قال: بعثنا رسُولُ الله صلى الله عليْه وسلّم إلى الحرقة(قبيلة) منْ جُهيْنة، قال: فصبّحْنا القوْم فهزمْناهُمْ، قال: ولحقْتُ أنا ورجُلٌ من الأنْصار رجُلًا منْهُمْ، قال: فلمّا غشيناهُ قال: لا إله إلا اللهُ، قال: فكفّ عنْهُ الأنْصاريُّ، فطعنْتُهُ برُمْحي حتّى قتلْتُهُ، قال: فلمّا قدمْنا بلغ ذلك النّبيّ صلى الله عليْه وسلّم، قال: فقال لي: «يا أُسامةُ، أقتلْتهُ بعْد ما قال لا إله إلا اللهُ» قال: قُلْتُ: يا رسُول الله، إنّما كان مُتعوّذًا، قال: «أقتلْتهُ بعْد ما قال لا إله إلا اللهُ»، قال: فما زال يُكرّرُها عليّ، حتّى تمنّيْتُ أنّي لمْ أكُنْ أسْلمْتُ قبْل ذلك اليوْم.(البخاري حديث: ٦٨٧٢، ومسلم حديث: ٩٦).

هذا الحديث يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك، وهم مجاهدون في ساحة القتال، لما ظفروا به وتمكنوا منه، نطق بالتوحيد، فتأول أسامة بن زيد، رضي الله عنه، قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي، صلى الله عليه وسلم، عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين وعظيم جُرم من يتعرض لها. (مجلة البحوث الإسلامية جـ٦٩ صـ٣٦٩).

(٩) عنْ أبي بكْرة رضي الله عنْه، قال: خطبنا النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يوْم النّحْر، قال: «إنّ دماءكُمْ وأمْوالكُمْ عليْكُمْ حرامٌ، كحُرْمة يوْمكُمْ هذا، في شهْركُمْ هذا، في بلدكُمْ هذا، إلى يوْم تلْقوْن ربّكُمْ، ألا هلْ بلّغْتُ؟»، قالُوا: نعمْ، قال: «اللهُمّ اشْهدْ، فلْيُبلّغ الشّاهدُ الغائب، فرُبّ مُبلّغ أوْعى منْ سامع». (البخاري حديث: ١٧٤١، ومسلم حديث: ١٦٧٩).

التحذير من ترويع الآمنين:

(١) عنْ عبْد الرّحْمن ابْن أبي ليْلى، قال: حدّثنا أصْحابُ مُحمّد صلى الله عليه وسلم، أنّهُمْ كانُوا يسيرُون مع النّبيّ صلى الله عليْه وسلّم، فنام رجُلٌ منْهُمْ، فانطلق بعْضُهُمْ إلى حبْل معهُ فأخذهُ، ففزع، فقال رسُولُ الله صلى الله عليْه وسلّم: «لا يحلُّ لمُسْلم أنْ يُروّع مُسْلمًا» (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤١٨٤).

(٢) عنْ السّائب بْن يزيد، أنّهُ سمع رسُول الله صلى الله عليْه وسلّم، يقُولُ: «لا يأْخُذنّ أحدُكُمْ متاع أخيه لاعبًا، ولا جادًّا» (حديث حسن، صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤١٨٣).

قال الإمامُ محمد آبادي رحمه الله: وجْهُ النّهْي عن الأخْذ جدًّا ظاهرٌ لأنّهُ سرقةٌ، وأمّا النّهْيُ عن الأخْذ لعبًا فلأنّهُ لا فائدة فيه بلْ قدْ يكُونُ سببًا لإدْخال الغيْظ والأذى على صاحب المتاع. (عون المعبود جـ١٣صـ٢٣٦). قلت : إن كان هذا فيما يخص الترويع بالنا بالدماء ؟!

وصية نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته بعدم الاقتتال فيما بينهم:

روى الشيخان عنْ جرير بْن عبْد الله البجلي أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس» (اطلب منهم أن يستمعوا لما أقوله لهم) فقال: «لا ترجعوا بعْدي كفارًا (تفعلون مثل فعل الكفار)، يضرب بعْضكمْ رقاب بعْض» (البخاري حديث: ١٢١، ومسلم حديث: ٦٥).

وعن الصنابح الأحمسيِّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني فرطكمْ (أي متقدمكم الذي يهيئ لكم ما تحتاجون إليه) على الحوض، وإني مكاثرٌ بكمُ الأمم، فلا تقتتلنَّ بعْدي» (حديث صحيح، صحيح ابن ماجه للألباني حديث: ٣١٨٧).

عنْ أبي بكْرة قال: سمعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا التقى المسلمان بسيْفيْهما فالقاتلُ والمقْتولُ في النار»، فقلْتُ يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقْتول؟ قال: «إنَّهُ كان حريصًا على قتْل صاحبه» (البخاري حديث: ٣١، ومسلم حديث: ٢٨٨٨).

قال الإمامُ النووي رحمه الله: أمَّا كوْنُ القاتل والمقْتول منْ أهْل النار فمحْمولٌ على منْ لا تأويل له، ويكونُ قتالُهما عصبيَّةً ونحْوها ثمَّ كوْنُهُ في النار معْناهُ مُسْتحقٌّ لها وقدْ يُجازى بذلك وقدْ يعْفو الله تعالى عنْهُ هذا مذْهبُ أهْل الحق. (مسلم بشرح النووي ٩ صـ٢٣٩).

حرمة دماء غير المسلمين من المعاهدين والمستأمنين:

(١) عنْ عبْد الله بْن عمْرو بن العاص، رضي الله عنْهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: منْ قتل مُعاهدًا لمْ يرحْ (أي لم يشم) رائحة الجنة، وإنَّ ريحها تُوجدُ منْ مسيرة أرْبعين عامًا. (البخاري حديث ٣١٦٦).

قال الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني: قوله صلى الله عليه وسلم (منْ قتل مُعاهدًا) المرادُ بالمعاهد: هو منْ لهُ عهْدٌ مع المسْلمين سواءٌ كان بعقْد جزْية أوْ هُدْنة منْ سُلْطان أوْ أمان منْ مُسْلم. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١٢ صـ٢٧١).

(٢) عنْ عمْرو بْن الحمق الخُزاعيِّ، رضي الله عنْهُ، قال: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «منْ آمن رجُلًا على دمه، فقتلهُ، فأنا بريءٌ من القاتل، وإنْ كان المقْتُولُ كافرًا» (حديث صحيح، صحيح الجامع للألباني حديث: ٦١٠٣).

معاهدة عمر بن الخطاب مع نصارى بيت المقدس:

عقد الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، معاهدة مع نصارى بيت المقدس، وكان مما كتبه فيها (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم. (تاريخ ابن جرير الطبري جـ ٢ صـ ٤٤٩).

معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر:

عقد عمرو بن العاص، رضي الله عنه، معاهدة مع أهل مصر، وكان مما كتبه فيها (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم. (تاريخ ابن جرير الطبري جـ ٢ صـ: ٥١٤).

منزلة القاتل الظالم عند إبليس:

عنْ أبي مُوسى الأشْعريِّ رضي الله عنْهُ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إذا أصْبح إبْليسُ بثَّ جُنودهُ فيقول: منْ أضلَّ اليوْم مُسْلمًا ألْبسْتُهُ التَّاج، فيجيءُ أحدُهُمْ فيقُولُ: لمْ أزلْ به حتَّى عقَّ والدهُ، فقال: يُوشكُ أنْ يبرَّهُ، ويجيءُ أحدُهُمْ فيقُولُ: لمْ أزلْ به حتَّى طلَّق امْرأتهُ، فيقُولُ: يُوشكُ أنْ يتزوَّج، ويجيءُ أحدُهُمْ فيقُولُ: لمْ أزلْ به حتَّى أشْرك فيقُولُ: أنْت أنْت، ويجيءُ أحدُهُمْ فيقُولُ: لمْ أزلْ به حتَّى قتل، فيقُولُ: أنْت أنْت ويُلْبسُهُ التَّاج. (حديث صحيح، السلسلة الصحيحة للألباني حديث: ١٢٨٠).

وسائل اجتناب الجراحات والقتل الخطأ:

أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى وسائل كثيرة لنتجنب إصابة الناس بأي نوع من الجراحات، فضلاً عن التسبب في قتل الناس عن طريق الخطأ.

(١) عنْ أبي هُريْرة، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يُشيرُ أحدُكمْ على أخيه بالسلاح، فإنَّهُ لا يدْري، لعلَّ الشَّيْطان ينْزعُ (أي يرمي بها) في يده، فيقعُ في حُفْرة من النار» (كناية عن وقوعه في المعصية التي تدخله النار) (البخاري حديث: ٧٠٧٢، ومسلم حديث: ٢٦١٧).

(٢) عن أبي هريرة، يقول: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه» (مسلم حديث: ٢٦١٦).

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه.

وقوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أخاه لأبيه وأمه) مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم وسواء كان هذا هزلا ولعبا أم لا لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ولأنه قد يسبقه السلاح. (مسلم بشرح النووي ٨صـ٤١٧).

(٣) عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم يتعاطون سيفا بينهم مسلولا، فقال: «ألم أزجركم عن هذا ليغمده ثم يناوله أخاه». (حديث صحيح)(موارد الظمآن حديث: ١٨٥٤).

(٤) عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها(النصل هو حديدة السهم) بكفه، أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء» (البخاري حديث: ٧٠٧٥، ومسلم حديث: ٢٦١٥).

توبة القاتل الظالم:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملا صالحا، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته. قال الله تعالى: (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣)، وهذا عام في جميع الذنوب، من كفر وشرك، وشك ونفاق، وقتل وفسق، وغير ذلك: كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه. وثبت في الصحيحين قبول توبة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس. فأما قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)، فمعناه: ليس يخلد فيها أبدا، بل الخلود هو المكث الطويل. وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان. (تفسير ابن كثير جـ٤صـ٢١٠).

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وهو يتحدث عن خروج عصاة الموحدين من النار) يقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه(أي من النار)، فيخرجون من عرفوا. (البخاري حديث: ٧٤٣٩).

الدماء هي أول شيء يقضي الله فيه بين الناس يوم القيامة:

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء» (البخاري حديث: ٦٨٦٤، ومسلم حديث: ١٦٧٨).

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها. وليس هذا الحديث مخالفا للحديث المشهور في السنن(أول ما يحاسب به العبد صلاته) لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما هذا الحديث فهو فيما بين العباد. (مسلم بشرح النووي جـ١ صـ١٨٢).

موقف القاتل الظالم يوم القيامة:

عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه، متلببا قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه دما، حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني؟ فيقول الله للقاتل: تعست، ويذهب به إلى النار» (حديث صحيح، السلسلة الصحيحة للألباني حديث: ٢٦٩٧).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحقوق المتعلقة بتركة الميت في الشريعة الإسلامية

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد على

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن للمسلم حالتين، لكل منهما أحكامها، حالة الحياة، وحالة الموت، قال تعالى: «ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ» (الملك ٢)، ومما يتعلق بأحكام الموت: الحقوق المتعلقة بتركة الميت، والتي ربما يجهل حكمها كثير من المسلمين، فأحببت أن أضعها بين يديك أيها القارئ الكريم لتنتفع بها:

الوقفة الأولى: تعريف التركة، والميت:

أولا: تعريف التركة:

التركة لغة: مشتقة من الفعل الثلاثي: (تَرَكَ): وهي ما يتركه الشخص ويبقيه.

والتركة اصطلاحًا: قال الشيخ أحمد الزامل في "المدخل إلى علم المواريث في المذاهب الأربعة": اختلف الفقهاء في تعريفها والتعريف المختار لجمهور الفقهاء: هي ما يتركه الشخص بعد موته من أموال وحقوق مالية، أو حقوق رجح فيها العنصر المالي على الحق الشخصي. فكل ما كان ثابتاً للميت من حق وله صلة بالمال فإنه يورث، ويقال له في اصطلاح جمهور الفقهاء «تركة».

وبناء على تعريف الجمهور نلاحظ أن الحقوق التي تورث هي:

١- جميع أموال الميت سواء كانت مالاً منقولاً، أم عقارات تكون ميراثاً.

٢- الديون التي للميت على الآخرين تكون ميراثاً.

٣- الدية التي وجبت بسب الجناية عليه تكون ميراثاً.

٤- الخيارات المتعلقة بالأموال؛ مثل: خيار العيب، والشرط، والشفعة، والقصاص تكون ميراثاً.

٥- نصيب المورث من غلة الإيجارات تكون ميراثاً.

أما الحقوق التي لا تورث عند الجمهور فهي:

١- حق الولاية.

٢- حق الحضانة.

٣- عقد الوكالة.

لأن هذه الأمور لا تتعلق بالمال، وليست في معنى المال، وتعتبر حقًا شخصيًا للمورث.

أقسام ما يتركه الميت:

الأول: الحقوق الشخصية المحضة فإنها لا تُورث باتفاق المذاهب، كحق الولاية على النفس والمال وحق الحضانة، وكذلك الديون على الميت، لا تورث وتتعلق فقط بالتركة، فإن فقدت التركة أو تجاوزت الديون قيمة التركة فالورثة غير مسئولين عن وفاء الدين ولا تنتقل إليهم، ويجوز أن يتبرعوا بسدادها، ولهم الأجر والثواب عند رب العالمين.

الثاني: النقود والأعيان المالية والحقوق العينية المتعلقة بالمال، فإنها تورث باتفاق المذاهب.

الثالث: المنافع والخيارات التي تتعلق بالشخص وان كان محلها المال اختلف الفقهاء في حكمها، فالجمهور يعتبرها مالاً وهي تركة، والحنفية قالوا بسقوطها بالموت وعدم انتقالها للورثة، فالمنافع عندهم ليست مالاً.

ثانيا: تعريف الميت:

الميت لغة:- المَيْتُ: بسكون الياء، هو مَنْ فارق الحياةَ، بخروج روحه من جسده، قال تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ» (الأنعام ١٢٢)، والميَت بالشدة مع الكسر هو الشخص الذي فيه روح، ولكن سيموت، قال تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» (الزمر ٣٠).

الميت اصطلاحًا:- قال الشيخ الدكتور بكر أبو زيد - رحمه الله - في بحثه القيم: (أجهزة الإنعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والأطباء): (إن حقيقة الوفاة هي مفارقة الروح البدن. وان حقيقة المفارقة خلوص الأعضاء كلها عن الروح، بحيث لا يبقى جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية) اهـ.

وقد قرر الفقهاء أن من شروط الإرث، وفاة المورث حقيقة أو حكمًا، فالوفاة الحقيقية هي: مفارقة الروح للجسد، وليست موت الدماغ مع بقاء التنفس ودقات القلب، قال الدكتور بكر أبو زيد في بحثه السابق الإشارة إليه: "لكن لا يُحكم بالوفاة التي تترتب عليها الأحكام الشرعية كالتوارث ونحوه، أو نزع عضو منه، بمجرد رفع الآلة بل بيقين مفارقة الروح البدن عن جميع الأعضاء، والحكم في هذه الحالة من باب تبعض الأحكام وله نظائر في الشرع كثيرة". اهـ.

والوفاة الحكمية هي الحكم بوفاة المفقود، وقد عرف ابن قدامة المفقود في كتابه المغني بقوله: "من فقد فلا يُعلم مكانه أو غاب عن أهله وانقطع خبره، فلا يعرفون حياته من موته. وهو بهذا المعنى يشمل كل مَن خرج من بيته ولم يعد، وانقطعت أخباره، أي في غيبة ظاهرها السلامة، أو ظاهرها عدم السلامة كما يشمل من فقد بين الصفوف في المعركة، أو انكسرت به سفينة وغرق بعض أصحابه، ولا يعرف أهله هل غرق معهم أم لا".اهـ.

ودليل اعتبار المفقود ميتًا حكمًا، ما رواه عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: "فُقد رجل في عهد عمرَ فجاءت امرأته إلى عمرَ فذكرَت ذلك له فقال: انطلقي فتربَّصي أربعَ سنينَ، ففعلَت ثمَّ أتَتهُ، فقال: انطلقي فاعتدِّي أربعةَ أشهُرٍ وعَشرًا ففعلَت، ثمَّ أتَتهُ فقال: أين ولِّي هذا الرَّجل؟ فجاءَ وليُّه فقال: طلقها ففعل. فقال عمر انطلقي فتزوجي من شئت، فتزوجت، ثم جاء زوجها الأول، فقال له عمرُ: أينَ كنتَ فقال: استهوَتني الشَياطينُ فوالله ما أدري" (رواه الأثرم والجوزجاني وصححه الألباني).

ومن ثم فلا يتصرف في تركة شخص إلا بعد ثبوت وفاته حقيقة، أو حكمًا.

الوقفة الثانية: الحقوق المتعلقة بالتركة:

إذا مات المرء تعلقت بتركته حقوق، هي: ١- تجهيز الميت، ٢- قضاء ديونه وقسموها الي ديون عينيه وديون مطلقة، ٣- تنفيذ وصاياه، ٤- توزيع الإرث على ورثته. (انظر في ذلك: نهاية المحتاج ٦ / ٣، العذب الفائض ١ / ١٣، الشرح الكبير ٤ / ٤٥٧، حاشية ابن عابدين ٥ / ٤٦٣، ٤٨٣، وشرح السراجية ص ٤).

وقد اتفق العلماء على:

قرر الفقهاء أن من شروط الإرث، وفاة المورث حقيقة أو حكما، فالوفاة الحقيقية هي مفارقة الروح للجسد، وليست موت الدماغ مع بقاء التنفس ودقات القلب.

- تقديم تجهيز الميت على قضاء الديون الشخصية.

- كالزكاة والقرض.

- وتنفيذ الوصية على تقسيم الارث.

ولكنهم اختلفوا في الديون العينية -كالدين الموثق برهن عيني من اعيان التركة - هل تقدم على التجهيز أم لا، على رأيين نتعرض لهما بالتفصيل فيما يلي:

أولاً: تعريف التجهيز، والديون العينية:

١- تجهيز الميت:

مثل غسله، وتكفينه، ودفنه بما يليق بأمثاله، فتشمل شراء الكفن، وأجرة المغسل، والحمل إلى القبر، وثمن القبر وأجرة حفره، وكذا كل ما يلزم من نفقات حتى وضعه في قبره، حيث إن تجهيز الميت حاجة من حاجاته: فكما كان يقضي حاجاته في الدنيا، يتم تجهيزه على الكيفية نفسها من غير إسراف ولا تقتير، وبما يليق بحاله عسراً ويسراً، ولا يدخل في التكفين والتجهيز إقامة المآتم، وحفلات التشييع، وولائم الخميس، والجمعة، والأربعين، والسنوية، وما يدفع للمنشدين، والمرتلين، وتشييد القبور بالرخام، والأحجار الثمينة، والأبنية المقامة على الأضرحة عند قبور من يوصفون بالأولياء والصالحين، والورود التي توضع على القبور ساعة الدفن، فمن فعل هذا للميت يضمن ذلك من ماله الخاص، وليس من التركة، لأن معظمها بدع وممنوعة شرعاً.

٢- الديون المتعلقة بعين التركة:

هي التي تتعلق بأعيان الأموال التي يتركها الميت، كالقرض الموثق بالرهن ، والمبيع مات مشتريه مفلساً.

ثانيا: آراء الفقهاء في أيهما يقدم على الآخر:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: رأى الحنابلة: تقديم تجهيز الميت على قضاء ديونه المتعلقة بعين التركة.

الرأي الثاني: رأى الجمهور من الحنفية، والمالكية، والشافعية، تقديم الديون العينية على التجهيز.

الرأي الراجح عندنا:

هو قول الحنابلة، وذلك لقوة أدلتهم.

يتعلق بالتركة خمسة حقوق مرتبة بحسب أهميتها كالآتي:

بيّن ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقال:

١- مؤن تجهيز الميت من ثمن ماء تغسيله وكفنه وحنوطه وأجرة الغاسل وحافر القبر ونحو ذلك لأن هذه الأمور من حوائج الميت فهي بمنزلة الطعام والشراب واللباس والسكن للمفلس.

٢- ثم الحقوق المتعلقة بعين التركة مثل الدين الذي فيه رهن وانما قدمت على ما بعدها لقوة تعلقها بالتركة حيث كانت متعلقة بعينها.

(وعند الأئمة الثلاثة: مالك وأبي حنيفة والشافعي تقدم هذه الحقوق على مؤن التجهيز لأن تعلقها بعين المال سابق وعلى هذا فيقوم بمؤن التجهيز من تلزمه نفقة الميت إن كان وإلا ففي بيت المال وهذا القول كما تري له حظ من النظر والله أعلم).

٣- ثم الديون المرسلة التي لا تتعلق بعين التركة كالديون التي في ذمة الميت بلا رهن سواء كانت لله كالزكاة والكفارة أم للآدمي كالقرض والأجرة وثمن المبيع ونحوها.

ويسوى بين الديون بالحصص إن لم تف التركة بالجميع، سواءً كان الدين لله أم للآدمي وسواء كان سابقاً أم لاحقاً (وانما قدم الدين على الوصية لما روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إنكم تقرؤون (من بعد وصية يوصي بها أو دين) وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية. وهذا الحديث وان كان في إسناده مقال إلا أنه يعضده

إذا مات المرء تعلقت بتركته حقوق هي: تجهيز الميت، وقضاء ديونه وقسموها إلى ديون عينيه وديون مطلقة، وتنفيذ وصاياه، وتوزيع الارث على ورثته.

المعنى والإجماع أما المعنى فلأن الدين واجب على الميت والوصية تبرع منه والواجب أولى بالتقديم من التبرع، وأما الإجماع فقد أجمع أهل العلم على تقديم الدين على الوصية.

هـ - فإن قيل: فما الحكمة في تقديم الوصية على الدين في الآية الكريمة فالجواب: أن الحكمة والله أعلم هي أن الدين واجب والوصية تبرع والتبرع ربما يتساهل به الورثة ويستثقلون القيام به فيتهاونون بأدائه بخلاف الواجب، وأيضاً فالدين له من يطالب به فإذا قدر أن الورثة تهاونوا به فصاحبه لن يترك المطالبة به فجبرت الوصية بتقديم ذكرها والله أعلم.

٤- ثم الوصية بالثلث فأقل لغير وارث.

(فأما الوصية للوارث فلا تجوز قليلة كانت أو كثيرة لأن الله قسم الفرائض ثم قال: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم × ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) والوصية للوارث من التعدي على حدود الله لأنها تقتضي زيادة بعض الورثة عما حد الله له وأعطاه إياه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (رواه الخمسة إلا النسائي) وقد أجمع العلماء على العمل بمقتضى هذا الحديث.

لكن إن أجاز الورثة المرشدون الوصية لأحد من الورثة نفذت الوصية لأن الحق لهم فإذا رضوا بإسقاطه سقط، وأما الوصية لغير الوارث فإنها تجوز وتصح بالثلث فأقل ولا تصح بما زاد عليه لأن الثلث كثير فيدخل ما زاد عليه بالمضارة ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الثلث والثلث كثير) متفق عليه.

فإن أجاز الورثة المرشدون الوصية بما زاد على الثلث صح ذلك لأن الحق لهم فإذا رضوا بإسقاطه سقط.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله متى تعتبر إجازة الورثة الوصية للوارث أو بما زاد على الثلث فالمشهور من مذهب الإمام أحمد عند أصحابه أنها لا تعتبر إلا بعد الموت فلو أجازوا قبله لم تصح الإجازة ولهم الرجوع. والراجح أن الإجازة إن كانت في مرض موت المورث صح وليس لهم الرجوع وإن كانت في غير مرض موته لم تصح ولهم الرجوع. وهذا مذهب مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بدائع الفوائد صفحة (٤) من الجزء الأول.

٥- ثم الإرث لأن الله سبحانه قال بعد قسمة المواريث: (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) ويبدأ بذوي الفروض وما بقي فللعصبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولي رجل ذكر) متفق عليه فإن لم يكن عصبة رد على ذوي الفروض بقدر فروضهم إلا الزوجين فإن لم يكن عصبة ولا ذوو فرض يرد عليهم فلذوي الأرحام لقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فإن لم يكن ورثة فلبيت المال.

وخلاصة ما سبق أن الحقوق المتعلقة بالتركة خمسة، مرتبة كالآتي:

الأول: مؤن التجهيز.

الثاني: الحقوق المتعلقة بعين التركة، ومذهب الأئمة الثلاثة أن هذا مقدم على مؤن التجهيز.

الثالث: الديون المرسلة.

الرابع: الوصية.

الخامس: الإرث.

وهذا الترتيب هو ما جرى عليه قانون المواريث المصري في المادة الرابعة.

والحمد لله رب العالمين.

> الوصية للوارث لاتجوز قليلة كانت أم كثيرة، لأن الله سبحانه قسم الفرائض ثم قال: تلك حدود.. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار.

حكمة الله تتجلى في أقداره !!

إعداد/ **أحمد صلاح رضوان**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، وبعدُ:

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، فهو نظام التوحيد، فمن حقق أركان الإيمان تم توحيدُهُ وإيمانه، ومن حقق أركان الإيمان ولكنه كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده وإيمانه.

فقد روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره" (جزء من حديث في صحيح مسلم: ٨).

وروى مسلم- أيضًا- عن طاووس بن كيسان رحمه الله قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كل شيء بقَدر، وسمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: كل شيء بقدر حتى العَجْز والكيْس" (صحيح مسلم: ٢٦٥٥). قال النووي: معناه أن العاجز قد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه. اهـ والكيس هو القدرة على حذق الأمور

حياة العبد بين قدر الله ولطفه:

خلق الله الخلق، وقدَّر عليهم المقادير، وجعل حياتهم التي يحيون فتنة ومحنة وابتلاءً واختبارًا، قال الله تعالى: «ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (الملك:٢)، وقال تبارك وتعالى: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (العنكبوت:٢)، وقد يكون في السراء من الفتنة والاختبار ما ليس في الضراء، كقوله تعالى: «إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (التغابن:١٥)، وكقوله: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا» (التوبة:٥٥).

فكان لزامًا أن يُبتلى المرءُ ويُختبَر، فإن كان في عافية وسراء فهو مُبتلى بها، هل

يشكر أو لا يشكر؟ وإن كان في مرض وضراء فهو مبتلى بها، هل يصبر أو لا يصبر؟ والمؤمن في كل أحواله صبار شكور، يعيش بين قدر الله ولطفه.

فقد روى أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْضِ قَضَاءً إِلاَّ كَانَ خَيْرًا لَهُ". (مسند أحمد ١٢١٦٠ وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ٣٩٨٥ في صحيح الجامع).

ولما كانت الدنيا دار عناءٍ وشقاء، وكُرَب وضراء، كثيرة المنغصات أخطأ من رجى منها الولد، لأنها عاقرٌ لا تلد، لذلك كان دعاءُ أهل الجنة إذا دخلوا الجنة: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر:٣٤).

قال الإمام أحمد رحمه الله: يا أخي، إنه طعام دون طعام، وشرب دون شراب، ولا راحة للمرء إلا في الجنة (مجموعة الفتاوي ١٨٥/٣٠)(سير أعلام النبلاء ٢١٥/١١).

فقه الابتلاء:

ليست الابتلاءات والعقوبات التي تصيب العبد عقابًا صرفًا، بل هي سُنَّة ربانية ماضية في الناس لحكمة جليلة يعلمها العليم الحكيم، تهدف إلى حمل الناس على التضرع إلى الله تعالى والاستكانة له، فيرجعون إلى طاعته ويُنيبون إليه ويستغفرونه، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» (الأنعام:٤٢)، وقال سبحانه: «وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الأعراف:١٦٨).

فلا يتصور أحدٌ أنه لكونه ابتُلي بنوع من أنواع الابتلاءات أن الله تعالى يكرهه، وهو مطيع لله صابر على قضائه- عياذًا بالله- فهذا من الظن السيئ برب العالمين، فالمحَن والابتلاءات التي تمرُّ بك، الله سبحانه هو الذي قدَّرها، وهو أعلم بك، مُحبٌّ لك، ما دمت مطيعًا له، وهو يعلم ما يُصلحك وما يضرك، قال الله تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ» (الشورى:٢٧)، وفي مسند أحمد، قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَوُّفًا لَهُ عَلَيْهِ» (مسند أحمد ٢٣٦٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: ٣١٧٩).

فالله يعطي الدنيا من أحب، ومَن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا مَن أحب، فليس المنع دليل غضب، كما أن العطاء ليس دليل رضا.

كم من منحة في المحنة!!

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ» (الرحمن:٢٩): يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء.(تفسير الطبري ٥٩٢/١١).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين. (الدر المنثور ٦٩٩/٧).

فدوام الحال من المُحال، والزمان دُوَل بين أهله، والله يغيِّر أحوال العباد من قدر إلى قدرٍ بما لا يفطن إليه عقل، ولا يتصوره بشر، فتولد المنحة من رحم المحنة، فأشد ساعات الليل سوادًا هي التي يعقبها الفجر.

يروى أن بعض العلماء شهد جنازة، فتبعهم نباش، فلما كان الليل جاء النباش ففتح عن الميت قبره، وكان شابًا قد أصابته سكتة- فلما فتح النباش القبر عليه نهض الميت جالسًا، فسقط النباش ميتًا في القبر، وخرج الشاب يمشي إلى أهله.(البداية والنهاية ٣١١/١٣)

هي الأيام والعبر
وأمر الله يُنتظر
أتياس أن ترى فرجًا
فأين الله والقدر؟!!

حكمة الابتلاء

لقد جعل الله تعالى بعلمه وحكمته للابتلاءات والمحن فوائد كثيرة، لمن ابتُلي فصبر، أو عوفي فشكر، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، أسوقها لكم، لعل الله أن يربط بها على القلوب، ويثبت بها الأفئدة، فيزداد المبتلى صبرًا، والمعافى شكرًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، منها:

١- محو الخطايا، وتكفير السيئات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ

الله بها من خطاياه" (صحيح البخاري (٦٥٤).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: «ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين». قالت: الحمى، لا بارك الله فيها. فقال: «لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» (صحيح مسلم ٢٥٧٥).

وفي سنن الترمذي: «فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (سنن الترمذي ٢٣٩٨ وصححه الألباني).

٢- رفع الدرجات، وعلو المقامات:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه" (صحيح البخاري ٥٦٥٣). وهذا في قوم يحبهم الله فيبتليهم ويصبرهم بفضله، وآخرون يحل بهم البلاء لفسقهم- عياذا بالله- كما قال تعالى في أصحاب الفرية التي كانت حاضرة البحر: «كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» (الأعراف:١٦٣). فبالنظر إلى حال المرء وما هو عليه من صلاح فتحل به البلايا ويصبر، فذلك من حب الله تعالى له، وإن كان معرضا عن طاعة الله تعالى، فما يصاب به من البلايا هو من جملة العقوبات على ما فرط في أمر الله، فمن صبر ورضي علت درجته، وزاد كماله، ونال الإمامة في الدين، لقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (السجدة:٢٤).

٣- حمل العباد على التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى:

قال الله تعالى: «وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الأعراف:١٦٨) أي: بلوناهم بالخيرات أولا لعلهم يقدموا شكرًا لخالقهم، فلم يفعلوا، فبلوناهم بالسيئات (أي: المصائب والنكبات والبلايا)، لعل هذه المصائب وأنواع البلايا تردهم إلى طريق ربهم وخالقهم.

وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ» (الأعراف:٩٤)، وكل ذلك حتى يرفعوا أكف الضراعة إلى الله تعالى، ويعلموا أنه لا كاشف لما هم فيه إلا الله، وأن ما حصل لهم إنما هو بذنوبهم، فيقدموا لذلك استغفارًا لعل الله أن يرفع ذلك عنهم، فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولكن: «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ» (الحديد:١٦).

فكثير من الناس إذا كان في عافية ركن إليها، وطال عليه الأمد، فقسا قلبه وأصابه زكام الكسل، فإذا أصابته ضراء تذكر وأبصر وعاد إلى الله تعالى، فكان البلاء خيرًا له، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» (الأعراف:١٣٠).

٤- الابتلاءات تمنع كثيرًا من الناس من الطغيان والتمادي في الغي:

فمن المعلوم أن الإنسان كلما تكاثرت عليه النعم ازداد طغيانًا وكبرًا على الناس، بل وتمرد على خالقه، بل ربما قال: «إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي» (القصص:٧٨)، ورثته كابرًا عن كابر، قال الله تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ» (العلق:٦-٧) أي: إن الإنسان يبدأ في الطغيان والبغي كلما رأى نفسه مستغنيًا بماله وصحته وذريته ومنصبه، فيبتلى حتى لا يتمادى في الغي.

فأحيانًا تحل الخسارات بالعباد؛ لنعهم من المعاصي، كالذي يستعمل ماله في المعاصي والذنوب، هل الأولى والأصلح له في دينه أن يسلب هذا المال، أم يبقى في يده يعصي به ربه تعالى ويؤذي به العباد، ويفسد به في البلاد؟ وأحيانًا تكسر رجل الرجل حتى لا يذهب بها إلى المعاصي!! وأحيانًا يسجن الإنسان حتى يخلو بربه تعالى ويحفظ القرآن ويقوم الليل، وقد كان قبل ذلك مفرطا، بل ينام عن الصلوات المكتوبات، لاسيما صلاة الفجر!!

أرأيتم لو أن فرعون كان أخرس، أكان يقول: أنا ربكم الأعلى؟ ولو كان قارون فقيرًا، أكان يقول: إنما أوتيته على علم عندي؟ فالله تعالى يمنع بحكمة، ويعطي بحكمة، يغني بحكمة، ويفقر بحكمة، وله الحكمة البالغة، سبحانه وتعالى.

٥- أن المبتلى يدخل في عداد الصابرين- إن صبر واحتسب- فيحظى بفضائلهم ويرتقي إلى درجاتهم:

فكل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها

إلى سبعمائة ضعف، إلا الصبر فإنه لا يُحصر أجره؛ لعظم موقعه في الدين، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر:١٠).

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام لما ابتلي فصبر نال شهادة حسنة وثناءً من الله جميلاً، فقال تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ» (ص:٤٤).

قال سليمان بن أيوب رحمه الله: مكثت في سجن محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق العباسي، فأصابني من الهم والغم ما الله به عليم، حتى وصلتني رسالة من أخي الحسن (ابن وهب) وهو من أقران أبي تمام الشاعر المعروف، قال فيها:

محنٌ أبا أيوب أنتَ محلها
فإذا جزعت من الخطوب فمن لها؟!
فاصبر فإن الله يعقب فرجه
ولعلها أن تنجلي ولعلها
وعسى تكون قريبة من حيث لا
ترجو وتمحو من جديدك ذلها

قال: فتفاءلت لذلك وقويت نفسي، وكتبت إليه:

صبرتني ووعظتني وأنا لها
وستنجلي بل لا أقول لعله
ويحلها من كان صاحب عقدها
ثقةً به أنْ كان يملك حلها

٦- إن الابتلاءات تُظهر العدو من الحبيب، والمحب من المبغض، والمؤمن من المنافق:

كما يقولون: سلم الله الشدائد التي أظهرت عدوي من حبيبي.. فيعيد المرء النظر فيمن حوله «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» (الأنفال:٣٧)، فمن الناس ناسٌ قلوبهم قلوب الذئاب في جثمان إنس، قد كنت تراه حنونًا مشفقًا عليك في الظاهر، يلتف حولك لمصلحة ما، فجاءت المصيبة ليظهر الوجه الحقيقي القبيح.

وهذه الفتن والبلايا والرزايا التي حلت ببلادنا من ثورات ونكبات، كانت سببًا في سقوط أقنعة الكثير من المنافقين الذين انخدعت بهم الجماهير طول السنين الماضية، حتى ميَّز الله الصف، وبان الغث من السمين، والخبيث من الطيب، قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ» (البقرة:٢٥١).

وهكذا الشدائد دومًا تفرز أهل الفضل والصلاح، تنفعك بعد المصيبة صحبتهم، وتفرز آخرين يجب بعد ذلك الحذر منهم.

فكم أظهرت محنة المسلمين في يوم الأحزاب من منافقين يقولون: «مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا» (الأحزاب:١٢)، ومن منافقين يوم تبوك: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا» (التوبة:٤٧)، وكم أظهرت هذا الشدائد من مستأذن يريد الفرار: «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» (الأحزاب:١٣)؟! كما أظهر من مؤمنين صادقين فيما عاهدوا الله عليه، لم يتزعزع الإيمان في قلوبهم لحظة!!

وكم أفرز حادث الإفك من صديق حميم مُحب رحيم!! وكم أفرز من عدو بغيض وشيطان رجيم!! وقال الله تعالى في صلب الحادثة: «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» (النور:١١)، فالحمد لله الذي جعل من الشدائد ميزة وفرقانًا بين المؤمنين وبين المنافقين.

أخيرًا: فمن خلال ما سبق ينبغي للمسلم أن يعلم أن الله تعالى لم يخلق شرًا محضًا، وما في كونه من شر ففي حق العبد، لكن وراءه خير عظيم، فهو سبحانه يبتليك ليعافيك، ويمرضك لينجيك، ويضيق عليك ليرفعك في الآخرة، وينزل عليك الكرب ليرى العبودية من قلبك ويسمع النجوى من لسانك، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» (صحيح مسلم ٧٧١).

فلا تحزن أيها الفقير وأيها السقيم، وأيقن أن الغني مبتلى بغناه، وأن المعافى في بدنه مبتلى بالعافية، وأيقن أنك لا تدري إلى ماذا سيؤول أمرك إذا أغناك الله وعافاك، أتشكر أم تكفر؟ فقليل من العباد الشكور، فقد روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (صحيح مسلم ٢٩٩٩).

فيا أهل البلاء !! يا أصحاب الهموم !! إن في الله خلفًا من كل هالك، وعوضًا من كل تالف، وعزاءً من كل مصيبة، فبالله فاثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرم الثواب.

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الحياة في القرآن والسنة

قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (الأنفال: ٢٤).

من دلائل النبوة

عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ فقلتُ يَا أَبَا مُسْلِم مَا هذه الضَّرْبَةُ فَقَالَ هَذِه ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةَ. (صحيح البخاري ٤٢٠٦).

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر"

(سنن ابن ماجه ٩٧ وصححه الألباني).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى - وإنه ليعلم ما فيها- من شدة العذاب).

(حديث منكر، سلسلة الأحاديث الضعيفة).

من درر العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة، لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقرُّ عيونهم ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه؛ ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به". (مجموع الفتاوى).

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا تنظروا إلى صلاة أحد ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى من إذا حدث صدق وإذا ائتمن أدى وإذا أشفى ورع". (شعب الإيمان).

من أقوال السلف

عن الحسن البصريّ قال: "إنّما هلك من كان قبلكم حين تشعّبت بهم السّبل، وحادوا عن الطريق فتركوا الآثار، وقالوا في الدّين برأيهم فضلوا وأضلّوا". (الاعتصام للشاطبي).

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

والكاظمين الغيظ

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله» (سنن ابن ماجه ٤١٨٩، وصححه الألباني).

من الحكمة في الدعوة إلى السُّنة

قال العباس بن غالب: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله: أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري فيتكلم مبتدع فيه أرد عليه؟ فقال: "لا تنصب نفسك لهذا، قال: أخبر بالسنة ولا تخاصم. (رسالة السجزي).

مَن أشر الناس؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: شر الناس ثلاثة: متكبر على والديه يحقرهما، ورجل سعى في فساد بين رجل وامرأته ينصره على غير الحق حتى فرَّق بينهما ثم خلف بعده (أي: وتزوجها هو)، ورجل سعى في فساد بين الناس بالكذب حتى يتعادوا ويتباغضوا.

حرمة دماء غير المسلمين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» (البخاري ٣١٦٦).

بعد ذلك نقول: هذا في حق غير المسلمين فما بالنا بالمسلمين؟!.

من معاني الأحاديث

في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يصلي على حمار يومئ إيماء»

الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب، وانما يريد به هاهنا الرأس. يقال أومأت إليه أومئ إيماء. (النهاية لابن الأثير).

صحّح لغتك

من الخطأ قولك: البند الأول. والصحيح: الفقرة الأولى؛ لأن البند كلمة فارسية تعني الحيلة والخديعة. وقولك: أنت بمثابة أبي والصحيح: أنت مثل أبي.

من حكمة الشعر

قال البستي محذرًا من مصاحبة الأشرار:

تجنب مجالس أهل الفساد
وقايض دنوك منهم ببعد
فقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأماكن والشر يعدي

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحلقة ٦٦

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

تكلمنا في العدد السابق عن الترجيح بالدلالة كطريقة من طرق الترجيح بين الأدلة النقلية، وأن العلماء اصطلحوا على تسميتها بدلالات النص، وأنها عند الجمهور تنقسم إلى قسمين: دلالة منطوق ، ودلالة مفهوم.

وقسمها الأحناف إلى أربعة أقسام: عبارة النص ، إشارة النص ، دلالة النص (وهذه الثلاثة مقابلة لدلالة المنطوق عند الجمهور ، اقتضاء النص (وهي المقابلة لدلالة المفهوم عند الجمهور).

وتكلمنا عن دلالة المنطوق والمفهوم ، ثم تكلمنا عن دلالات العبارة ، الإشارة ، النص ، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

رابعًا: دلالة الاقتضاء:

وهي اقتضاء الكلام تقدير كلمة محذوفة دل المقام عليها، وتقديرها لا بد منه حتى يستقيم الكلام صدقاً أو شرعاً أو عقلاً.

١- ما يتوقف عليه صدق الكلام:

فلو لم نقدر المحذوف لكان الكلام غير صادق ومخالفاً للواقع والحقيقة، مثال ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (صحيح سنن ابن ماجة وغيره).

فظاهر الحديث يدل على أن الله تعالى قد وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان والإكراه. أو إنها لا تقع فيه، وهذا غير صحيح، حيث إنه لا يطابق الواقع، فالأمة يقع منها الخطأ والنسيان والإكراه؛ لأن الأمة ليست معصومة. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخبر إلا صدقاً، فاقتضى السياق أن نقدر كلمة محذوفة استفدناها من العبارة، وهي الإثم. فيكون تقدير الكلام بعد هذا: وضع عن أمتي إثم الخطأ، وإثم النسيان، وإثم ما استكرهوا عليه.

وكحديث النبي صلى الله عليه وسلم

الذي روته حفصة رضي الله عنها: من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له (صحيح سنن النسائي وغيره)، فاقتضى سياق الحديث أن نقدر كلمة (صحيح) حتى يتضح المعنى المقصود من الحديث: لأن صورة الصيام تقع سواء نوى أو لم ينو، لكن من نوى صح صيامه - وذلك في صيام الواجب - ومن لم ينو لم يصح صيامه. فيكون تقدير الكلام: من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام -صحيح- له.

٢- ما يتوقف عليه صحة الكلام شرعاً:

فالمقتضي يوجب تقدير كلمة، حتى يصح الكلام من الناحية الشرعية، مثال ذلك في قوله تعالى: (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) (البقرة:١٨٤)، فظاهر الآية يدل على أن المسافر يصوم عدة من أيام أخر مطلقاً، أي سواء صام في سفره أو لم يصم.

لكن الشرع دل على أن المسافر إذا أفطر في سفره فعليه القضاء في أيام أخر. أما إذا صام في سفره فلا موجب للقضاء عليه فيكون التقدير: أو على سفر (فأفطر) فعدة من أيام أخر.

ومثال آخر: قول الانسان لمن يملك عبداً: اعتق عبدك عني وعليَّ ثمنه فهذا تصرف قولي، وما دل عليه بعبارة نصه لا يصح شرعاً، إذ العبد ملك لصاحبه ولا يجوز للغير عتقه بدون أن يتملكه حقيقة أو حكماً، فصحة هذا التصرف شرعاً تتوقف على ثبوت تملك من يريد العتق أولاً، ثم يوكل المالك الأول في بيعه فيكون التقدير: بع عبدك هذا عليَّ بألف وكن وكيلاً عني في عتقه.

٣- ما يتوقف عليه صحة الكلام عقلاً وهو ما وجب تقديره لتصحيح الكلام من جهة العقل، فيمتنع وجود الملفوظ عقلاً بدون ذلك المقدر، مثال ذلك في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) (النساء:٢٣)، فإن العقل يمنع من إضافة التحريم إلى ذات الأمهات، فوجب إضمار فعل يتعلق به الحكم، وهو هنا "الوطء" نظرًا إلى أن العقل يقتضيه فيكون التقدير: حرم عليكم وطء أمهاتكم. وكذلك قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) (المائدة:٣) المقصود أكل الميتة، فيكون التقدير: حرم عليكم أكل الميتة. (انظر إجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعانى ت ١١٨٢، صـ٢٣٤، ٢٣٥، الجامع لمسائل أصول الفقه د.عبد الكريم النملة صـ ٢٩٣، ٢٩٤، المهذب د عبد الكريم النملة ٤/١٧٢٥ - ١٧٣٠).

تطبيقات عملية على استخدام قرائن السياق:

أولاً في مجال العبادات:

صلاة الوتر:

لأهل العلم في حكم صلاة الوتر قولان:

القول الأول: وهو قول الجمهور: أنه سنة مؤكدة. القول الثاني: وهو قول الحنفية: أنه واجب.

أولاً: ما استدل به الحنفية:

١- حديث بريدة وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً: "من لم يوتر فليس منا" (ضعيف: انظر تخريج أحاديث منار السبيل ح ٤١٧، السلسلة الضعيفة ح٥٢٢٤).

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا" (متفق عليه).

٣- حديث أبي بصرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إن الله زادكم صلاة، وهي صلاة الوتر فصلوها بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر" (مسند أحمد وغيره. انظر السلسلة الصحيحة ح١٠٨).

٤- حديث أبي أيوب رضي الله عنه مرفوعاً: "الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل". (صحيح سنن أبي داود وغيره).

٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: "أوتروا قبل أن تصبحوا" (صحيح مسلم).

٦- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل، فإذا أوتر، قال: قومي فأوتري يا عائشة". (صحيح مسلم).

استدلالات الحنفية من الأحاديث

١ - اعلم أن الواجب عند الحنفية دون الفرض وفوق المستحب (النفل) وهو ما ثبت

بخبر الواحد

٢- نقل عن أبي حنيفة يرحمه الله ثلاث روايات في حكم الوتر: أحدها أنه واجب ، وهو آخر أقواله وهو الصحيح ، وهو الظاهر من مذهبه . والثاني أنه فرض .

وقد مال سحنون والأصبغ من المالكية إلى القول بأنه فرض .

والثالثة : أنه سنة مؤكدة

٣- أجابوا عن حديث الأعرابي (هل علي غيرهن ؟ ... الحديث) أن ذلك كان متقدما – قبل وجوب الوتر – لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه الحج .

٤- وأما صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر على الراحلة والفرائض لا تؤدى عليها. فقالوا بأن الوتر في السفر ليس بواجب على النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي كان يصليه على الراحلة ، وذكروا حديثاً رواه الطحاوي بإسناده : أن ابن عمر كان يصلي على راحلته ويوتر بالأرض ويزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك (والأثر صحيح لكن جاء عن ابن عمر أنه أنكر على سعيد بن يسار نزوله الأرض ليوتر ، فدل ذلك على أنه يرى جواز الأمرين (انظر صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم للألبانى)

٥- وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوتر كما بحديث أبي بصرة : فصلوها .

وبحديث أبي سعيد : أوتروا ، وغير ذلك من الأحاديث والأمر للوجوب

٦- وكذلك فى حديث أبي بصرة مرفوعاً :إن الله زادكم صلاة... فأضاف الزيادة إلى الله تعالى ، والسنن إنما تضاف إلى رسول الله ، ، وأن الزيادة في الشيء إنما تتحقق إن كان من المزيد عليه فإضافته للواجبات أولى للأخذ بالإحتياط (انظر البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني الحنفي ت ٨٥٥ ، ٢/٤٧٣ – ٤٨٢)

ثانياً: أدلة الجمهور:

١- حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: جاء رجل (ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد.... الحديث وفيه: فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال هل عليَ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع... (متفق عليه).

وفي هذا دليل على أن الوتر غير واجب؛ لأنه كما هو معلوم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن مقتضى الحاجة، فإن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب الأعرابي بالفرائض فقط لحداثة عهده بالإسلام، أجيب عن ذلك بأن الوتر لو كان فرضاً كالخمس صلوات لارتفعت أهميته، وزاده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن فقال: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم... الحديث (متفق عليه).

وهذا الحديث يرد على من قال في حديث الأعرابي (ضمام بن ثعلبة) أنه وقع في أوائل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه الحج؛ لأنه من المعلوم أن بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل فلو كان واجباً لأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم به.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر" (صحيح مسلم)، فلم يذكر في الحديث صلاة الوتر.

٤- حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير (متفق عليه).

وهذا الحديث فيه قرينة ظاهرة على عدم وجوب الوتر، وهي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم له على الراحلة؛ إذ إن الفريضة لا تصلى على الراحلة. قال الطبري: هذا الحديث حجة على أبي حنيفة في إيجابه الوتر، لأنه لا خلاف

بين الجميع أنه غير جائز لأحد أن يصلي مكتوبة راكباً في غير حال العذر، ولو كان الوتر فرضاً ما صلاه الرسول صلى الله عليه وسلم راكباً بغير عذر. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ت ٤٤٩ هـ، ٥٨٢/٢).

وقال ابن عبد البر:... لأن الإجماع منعقد على أنه لا يجوز لأحد أن يصلي على الدواب شيئًا من فرائض الصلوات إلا في شدة الخوف خاصة وفي غلبة المطر عليه.... (الاستذكار لابن عبد البر ت ٤٦٣، ١١٥/٢).

كما أن هناك قرينة أخرى في قوله تعالى: (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ) (البقرة:٢٣٨)، فلو كانت الصلوات ستاً ما كانت هناك صلاة وسطى.

ثالثاً: توجيه أدلة الحنفية: فقوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث: "إن الله زادكم صلاة وهي صلاة الوتر"، "الوتر حق على كل مسلم"، "أوتروا قبل أن تصبحوا"، قومي فأوتري يا عائشة" فتوجيهها كالتالي: قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زادكم صلاة وهي صلاة الوتر". وهذا لا حجة فيه لأنه يحتمل أن يكون زادنا في أعمالنا التي نؤجر عليها فضيلة ونافلة بقوله زادكم، وزاد لكم، ولم يقل زاد عليكم، وما لنا هو خلاف لما علينا. (الاستذكار ٣٧٠/٢).

فقوله: زادكم ليس بموجب للفرض لاحتماله أن يكون زادنا فيما يكون لنا زيادة في أعمالنا، كما جاء في الوصية عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل لكم ثلث أموالكم زيادة في أعمالكم"، ومعلوم إنما هو لنا، خلاف لما افترض علينا (الاستذكار ٢/ ١١٢ - ١١٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الوتر حق على كل مسلم فلفظة "حق " قد تحتمل الوجوب وغيره، والأحاديث التي ذكرنا طرفا منها صرفت معناهما من الوجوب إلى الاستحباب، فتكون حق على تأكيد استحبابها، يقول الحافظ ابن حجر: فيحتاج من احتج به (أي على الوجوب) أن يثبت أن لفظ حق بمعنى واجب في عرف الشارع (فتح الباري ٢/٤٨٧).

قوله صلى الله عليه وسلم: "أوتروا قبل أن تصبحوا": نعم إن الأصل في الأمر الوجوب، فإذا جاء الصارف نزلت رتبته من الأمر إلى الاستحباب أو غيره، والقرائن هنا - الأحاديث التي في الباب - صرفت الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، ويدل الحديث على أن الوتر واجب قبل الصبح لا على وجوب الوتر نفسه، وما قيل في هذا يقال أيضاً في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: قومي فأوتري.

رابعاً: قرائن السياق المستخدمة في المسألة:

لقد استخدمنا عددا من قرائن السياق بأقسامها المتعددة في بحث هذه المسألة، وهي:

١- قرائن لفظية متصلة بالنص: وذلك في الأحاديث التي استدل بها الحنفية على وجوب صلاة الوتر، وذلك في توجيه دلالات الألفاظ التي وردت بالأحاديث، مثل: زادكم صلاة، الوتر حق، أوتروا، قومي فأوتري.

٢- قرائن لفظية منفصلة عن النص: وذلك في الأحاديث التي أوردها الجمهور للرد على الأحاديث التي استدل بها الحنفية.

٣- قرائن حالية (غير لفظية) مقترنة بالخطاب: وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير، فهذه قرينة غير لفظية (وصفية)، لكنها وضحت تماما أن الوتر ليس بواجب، وإلا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم صلاه على البعير.

٤- قرائن حالية (غير لفظية) منفصلة عن الخطاب، وهي:

أ- قاعدة لا يجوز تأخير البيان عن مقتضى الحاجة (وذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم)، كما في حديث الأعرابي الذي سأله عن الصلوات المفروضة التي عليه.

ب- إرسال معاذ إلى اليمن إذ كان ذلك في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن ما ذكر في الحديث عن الصلوات الخمس هو آخر ما قيل في عدد الصلوات المفروضة.

هذا والله أعلم، وللحديث بقية إن شاء الله.

تصحيح المفاهيم من خلال سورة الفاتحة

إعداد/ **عاطف التاجوري**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فلما كانت الفاتحة هي أم القرآن، وذلك للأسباب التي سنذكرها ومن أهمها أنها جمعت كل ما في القرآن.

الفاتحة أم القرآن

قال ابن كثير في التفسير: قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: أمًا، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أمًا.

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب، وفاتحة الكتاب" وقد رواه الدارقطني أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات. (عمدة التفسير ١/٤٧).

ورد ذلك أيضًا في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج- ثلاثًا- غير تام».

وقال القرطبي في تفسيره: إن جميع القرآن فيها، وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القربة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١١٠).

وعندما ذكر أسماء الفاتحة قال (السابع) القرآن العظيم، سُميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم، وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين. (تفسير القرطبي ١/١١٢).

إذن فالفاتحة تجمع معاني القرآن كله، فالخطأ في منهجها يتعلق بكل لفظة فيها، ولما كان معظم المفسرين عندما يتكلمون عن تفسير الفاتحة يتكلمون عن تفسير الاستعاذة والبسملة قبلها، فسنبتدئ بالكلام عن المفاهيم الخاصة في الاستعاذة والبسملة.

الاستعاذة

كثيرٌ من الناس لا يكادون يشعرون بوجود الشيطان بينهم، ولا بوسوسته لهم، فلا يستعيذون بالله منه، في أي أمر من الأمور ولا في أي موقف من المواقف وحالهم إلا من رحم ربي كحال هذا الرجل الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقال: «إني لست بمجنون».

فعن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّه عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ» (البخاري: ٦١١٥).

أما عن معنى الاستعاذة فقد قال ابن كثير في تفسيره: قال الله تعالى: (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠)، وقال تعالى: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ

(٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) (المؤمنون: ٩٦ - ٩٨) وقال تعالى: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٤ - ٣٦).

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عن طبعه الطيب الأصل إلى الموادة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة ؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل ؛ كما قال تعالى: (يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ) (الأعراف: ٢٧) وقال: (إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) (فاطر: ٦) وقال (أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا) (الكهف: ٥٠). وقد أقسم للوالد إنه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)، وقال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل: ٩٨، ٩٩).

وروى مسلم عن عُثْمَان بْن أبِي الْعَاص أنه أتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم فقال: يَا رَسُول الله إنَّ الشَّيْطان قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاتِي وقراءَتِي يلْبِسُها عَلَيَّ، فقال رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فإذا أَحَسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ، واتْفِلْ عَلَى يَسارِكَ ثَلاثًا قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ الله عَنِّي. (مسلم: ٢٢٠٣).

وروت خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل». (الموطأ، ومسلم، والترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح).

وقال ابن كثير في تفسيره: ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه ؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله. اهـ.

فنخرج من ذلك بأن كثيرًا من الناس يقرءون الاستعاذة بأفواههم ولا يفهمون معناها الصحيح الذي هو الاستعانة بالله سبحانه وتعالى على هذا العدو الشيطاني الذي لا يرده عنا مصانعة ولا إحسان ولا طبع طيب الأصل لشدة العداوة بينه وبين أبينا آدم من قبل، وبالتالي بينه وبيننا إلى اليوم القيامة. وتتمثل المفاهيم الخاطئة في البسملة أن معظم الناس يقرءونها بدون فهم صحيح لمعناها، ونتيجة لذلك فلا يلتزمون هذا المعنى الصحيح في أعمالهم وأقوالهم، ومن أجل معرفة هذا المعنى الصحيح ننظر ما قاله العلماء في ذلك:

قال ابن كثير في تفسيره:

روى الإمام أحمد عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم. فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب" هكذا وقع في رواية الإمام أحمد (المسند ٥٩/٥، ٧١، ٣٦١).

وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال: "لا تقل هكذا فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت، ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة" (رواه أبو داود ٤٩٦١).

وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعاً "لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقاً وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقاً في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه أن شاء الله..

وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: "قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه أن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً".

ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك بسم الله هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكل قد ورد به القرآن. أما من قدره بسم تقديره بسم الله ابتدائي فلقوله تعالى: «وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ومن قدره بالفعل أمراً أو خبراً نحو أبدأ بسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» وكلاهما صحيح فإن الفعل لا بد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله أن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرابا أو قراءة أو وضوءاً أو صلاة فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم. (عمدة التفسير ١/٥٥، ٥٦).

فمن المفاهيم الخاطئة أن تكون علاقتنا بالبسملة مجرد قراءتها عند قراءة القرآن فقط بدون فهم لمعناها الصحيح الذي يؤدي إلى قراءتها عند كل هذه المواضع الذي ذكرنا بعضا منها.

معنى الحمد:

فمَن من الناس الآن يحمد الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وتأمل ما جاء في فضل الحمد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم: «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ، إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا». (قال أحمد شاكر في تحقيق تفسير ابن كثير عن هذا الحديث: وقد صححناه من سنن ابن ماجة (٣٨٠١) واسناده جيد، ليس مجروحاً، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجة» (٨٢٩)).

وما في الصحيح أغنى وأوضح. فقد روى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ مَنْ الْمُتَكَلِّمُ قَالَ أَنَا قَالَ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ. (رواه البخاري: ٧٦٦).

وروى مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقَالَ أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا فَقَالَ رَجُلٌ جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا. (رواه مسلم: ٦٠٠).

والأحاديث تدور حول معنى واحد، ولتوضيح هذا المعنى يقول ابن كثير في تفسيره:

الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه واحسانه.

قلت: فمعنى هذا أن الحمد هو الثناء على الله تعالى لأنه مستحق للثناء لعظم ذاته وكمال أسمائه وصفاته، ويكون باللسان فقط. والشكر ثناء على الله لما أولا نابه من نعم ويكون باللسان والجوارح والقلب.

فليس الحمد كلمة تقال باللسان فقط دون فهم صحيح لمعناها أو حركات تؤدى بالفم من تقبيل لليد ظاهرها وباطنها.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، والى لقاء آخر. وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

باب
التربية
الإسلامية

التربية بالموعظة

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (المواعظ سياط تضرب بها القلوب فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه، فكلما قوي الضرب كانت مدة الألم أكثر، وكان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا وعليهم السكينة والوقار فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعامًا عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

أفضل الصدقة تعليم جاهل أو إيقاظ غافل، ما وصل المستثقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الوعظ ليستيقظ.

إنما التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب، قوي الذراعين، فيؤلم ضربه فيردع، وأما من سقيم البدن لا قوة له، فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟! كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة، ثم جاء يخبر عنها وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئًا.

قال بعض السلف: (إن العالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله تعالى، زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر على الصفا).

المواعظ ترياق القلوب، فلا ينبغي أن يسقي الترياق إلا طبيب حاذق معافى، فأما لديغ الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوج من أن يسقيه.

وغير ذي تقى يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي الناس وهو سقيم
يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما تقول ويُقتدى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم.

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي: يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور، أهمها:

١- إيقاظ عواطف ربانية كان قد رُبيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة،

أو غير ذلك كعاطفة الخضوع لله والخوف من عذابه، أو الرغبة في جنته، وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف وينميها وقد ينشئها من جديد.

٢- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد رُبي عليه، وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله، وأنه خلق الكون والموت والحياة.

٣- الاعتماد على الجماعة المؤمنة، فالمجتمع الصالح يُوجد جوًا يكون الوعظ فيه أشد تأثيرًا، وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨).

وكالحديث: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا) أخرجه الترمذي وصححه.

٤- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، فلا يبغي أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠).

وقد اشتمل القرآن الكريم على جمل مستكثرة من المواعظ العالية الغالية.

فمن ذلك قوله تعالى: (وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا) (النساء: ٣٦-٣٨).

والقرآن كله مواعظ للمتقين كما قال تعالى: (هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨).

ولقد كان وعظ النبي صلى الله عليه وسلم على أرقى مستوى وأعلى درجة فكان يأسر بوعظه قلوب السامعين.

آيــة الــوعــظ أن يصل بمن وعظه إلــى الـخـشـيـة الحقيقية التي تـجـتـمـع فـي وجــل الـقـلـب ودمــع الـعـيـن، وأن يتذكروا أمور الآخــرة فكأنهم يرونها رأي العين.

وغاية الواعظ أن يصل بمن وعظه إلى الخشية الحقيقية التي تجتمع في وجل القلب ودمع العين، وأن يتذكروا أمور الآخرة فكأنهم يرونها رأي العين، هكذا كان وعظ النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث العرباض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنه موعظة مودع فأوصنا.........) الحديث رواه الترمذي وصححه.

وكذا في قصة حنظلة عندما قارن بين حال قلبه في مجلس وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما يفارق هذا المجلس إلى مجالسة الزوجات والأولاد، فقال: (نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة) ثلاث مرات. رواه مسلم (٢٧٥٠).

سمات وعظ النبي صلى الله عليه وسلم:

وقد كان لوعظه (صلى الله عليه وسلم) سمات: فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر عليهم فيملوا بل يجعلهم دائما متشوقين إلى وعظه صلى الله عليه وسلم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم علينا) أو قال (السآمة علينا).

وكان ينصح أن من فقه الرجل تقصير الخطبة واطالة الصلاة.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ أنه كان يؤثر في الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينه وتأثره وكان يرفع صوته ويحرك يديه كأنه منذر جيش.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيات يوما على المنبر: (وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧)، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: (يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم) فرجف به المنبر حتى قلنا: ليخرن به المنبر.

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان: (ولا يتصف الواعظ الداعية بهذا التأثير إلا أن يكون مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، مشرق الروح.

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأساه، لما آل إليه حال المسلمين فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ والاستجابة إليه أقوى والاتعاظ بكلامه أعظم.

قال عمر بن ذر لأبيه: يا أبت !! مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟! فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ: أنه كان يستعين أحيانا بضرب الأمثال كما قال صلى الله عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في المواعظ: أنه كان يستعين أحيانًا بالرسوم الإيضاحية، روى البخاري (في صحيحه) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به وهذا الذي هو خارج - أي عن الخط -: أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا) وإن أخطأه كلها أصابه الهرم. أخرجه البخاري.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يعلمهم بالدرس العملي كما في (صحيح البخاري) أن النبي، صلى الله عليه وسلم، توضأ أمام جمع من الناس، ثم قال: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه).

وصلى مرة صلى الله عليه وسلم بالناس إمامًا وهو على المنبر: ليروا صلاته كلهم، وليتعلموا من أفعاله ومشاهداته فلما فرغ أقبل على الناس فقال: (يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا أراد أن ينهى عن شيء فربما أخذه بيده وبين حرمته: ليكون أوقع في نفوس أصحابه.

عن علي رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريرا بشماله وذهبا بيمينه ثم رفع بهما يديه فقال: (إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم).

إن من أهم آثار أسلوب الموعظة: تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ: استعمال التكرار المفيد للترغيب أو الترهيب.

يقول الأستاذ عثمان قدري مكانسي: (وبهذا الأسلوب الواضح المستأني، وبهذا التكرار المفيد يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل وتنغرس الأفكار وظلالها والألفاظ، وإيحاءاتها في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً وتطبيقا في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقية لا شائبة فيها حية بحيوية حامليها.

ومن الأحاديث التي ترى فيها صدق ما ذكرته سابقا: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه) قالوا يا رسول الله من؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار).

أية قشعريرة أخذتني وأنا أقرأ هذا الحديث؟!، فأفاجأ بقوله صلى الله عليه وسلم: (رغم أنفه) تتكرر ثلاث مرات، وأنا بعيد عن زمان الحديث ألفا وأربعمائة وست عشرة سنة فمادت بي الأرض.

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثلاثا: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور) أو: قول الزور. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت).

ومن ذلك الترغيب: بيان عظم الثواب والترهيب بالتخويف من شدة العقوبة.

فمن الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله).

ومن الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قتات) أي: نمام.

ومن ذلك: استعمال القسم لتأكيد ما يريد بيانه: كما قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم).

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً)، فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين وهو البكاء الذي ينتشر في الأنف بغنة.

ومن ذلك التحديد بالعدد حتى يسهل على أصحابه الحفظ وعدم تفلت شيء منهم كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر أليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر).

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه).

ومن ذلك: الترقي من المهم إلى الأهم، فإذا وجد العبد إنسانا تاركا للصلاة ومسبل الإزار أو يتختم بالذهب، والثلاثة من المحرمات، إلا أن ترك الصلاة أخطر الثلاثة، وقد اختلف العلماء في تكفير تارك الصلاة، فعلى الداعية أن ينصح بالمداومة على الصلاة أولا، ثم إذا كان هناك استجابة يرشد إلى ترك بقية المحرمات، لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقّ كرائم أموالهم).

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء أو سَجْلا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

ميثاق الهجرة.. وأثره في تأسيس أعظم دولة

الحلقة (٢)

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة أنه عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وجد بها غير أنصاره من الأوس والخزرج يهودًا توطنوا، ومشركين مستقرين، فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد والإقصاء لغير المسلمين، أو المصادرة والخصام، بل قبل- عن طيب خاطر- وجود اليهود والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهداه معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه.

وكان لهذه المعاهدة شق خاص بالمسلمين، بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم فيه طبيعة الأمة المسلمة، وحدود العلاقة بين أبناء الإسلام، وقد شرحنا ذلك في الحلقة الماضية، وفي هذه الحلقة نتعرض للشق الثاني من المعاهدة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود والمشركين بالمدينة، وقبل ذلك نسوق هذا التمهيد:

تمهيد:

لا شك أن اليهود في المدينة كانوا على علم بما تم بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأوس والخزرج من اتفاق في بيعة العقبة الكبرى بمكة قبل هجرته للمدينة، ولم يكن في مقدورهم أن يمنعوا هذا الاتفاق أو يقفوا ضده، فإن القوة في المدينة كانت في يد العرب، وكانوا يستطيعون أن يُدخلوا في المدينة من شاءوا دون أن يخشوا اعتراض اليهود عليهم، وكانت حالة يثرب الداخلية تتطلب عنصرًا خارجيًا يستطيع أن يوحد بين عناصرها المختلفة.

فكانت الهجرة النبوية التي قصد بها كسر القيود التي تفرض على الإيمان، وفتح نوافذ أخرى في أرض جديدة، وليست من تلك الهجرات التي تعني زحفًا على البلاد للاستيطان فيها على حساب أهلها، أو لتحقيق الثروة ثم الخروج بها. (دروس وعبر من الهجرة النبوية (ص٧٩)، لعلي بن نايف الشحود).

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإقامة قواعد المجتمع الإسلامي، كان من الضروري تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل المدينة، من أجل توفير الأمن والسلام للناس جميعًا. (المصدر السابق ص١٤٣).

والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط، هو مخطئ بلا أدنى شك، بل متحامل جريء.

أقول ذلك لأن بعض المستشرقين كجونتمري وات في كتابه «محمد في المدينة» (ص٣٠٣) أثار شبهات حول الهدف من المعاهدة التي أبرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة؛ فيرى «وات» أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة كان حريصًا على أن يظفر بتأييد اليهود، حتى لا ينهار البنيان الفكري الذي قامت عليه رسالته، فقد كان يؤكد في البداية أن رسالته متطابقة مع الرسالات السابقة، ومن هنا كان مستعدًا لأن يسمح لليهود بالبقاء على دينهم إذا اعترفوا به نبيًا كأنبيائهم، فلما أصر اليهود على موقفهم من عدم الاعتراف بنبوته، وأخذوا يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام؛ هاجمهم الرسول واتهمهم بالتخريف وادعى أنه على دين إبراهيم.

وخطأ «وات» وغيره من المستشرقين، وعلى رأسهم بروكلمان، الأساس يتمثل في نظرتهم القاصرة إلى الأديان، فهم يدرسونها على أنها منفصلة عن بعضها،

وهذا في حد ذاته من الأخطاء المنهجية؛ ذلك لأن الأديان السماوية مصدر في الأصل واحد، وهي رغم ما اعترى اليهودية والمسيحية من تحريف تلتقي في عدد من تعاليمها، ويقول الحق سبحانه وتعالى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» (الشورى:١٣)، فكل ما جاء به الرسل من عند الله فهو متحد المصدر، ونبينا الكريم عندما اختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ الرسالة الخاتمة جاء بالدين الصحيح وهو ما دعا إليه من سبقوه من الرسل، يقول الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (الصف:٦)، فإذا كان هناك قدر ما من التلاقي بين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما دان به اليهود في المدينة، فهذا ليس لأنه صلى الله عليه وسلم تأثر به أو سرق أفكارهم، إضافة إلى أن هذا القدر من التلاقي كان ضئيلاً جداً، ولا يحتمل كل هذا التضخيم من المستشرقين.

وأما فيما يخص قول «وات» بأن الرسول أيقن من عدم اتباع اليهود له وهاجمهم واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم، فهو كلام مردود؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان حريصًا على أن يدخل الناس كافة في هذا الدين، يهودًا كانوا أم غير ذلك، إلا أنه لم يجبر اليهود على الدخول في الإسلام، وهذا -هو موقف الإسلام من أهل الكتاب خاصة، ولا مجال لزعم «وات» من أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ادعى أنه على دين إبراهيم بعد أن أخذ اليهود يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام، فالمعروف أن القرآن المكي أشار بوضوح إلى ارتباط الرسول صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم، «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (الأنعام:١٦١)، وقوله سبحانه: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» (النحل:١٢٣)، ولم يكن هناك احتكاك بين محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قبل هجرته إلى المدينة باعتراف المستشرقين أنفسهم، هذا بالإضافة إلى إشارة المولى عز وجل في كتابه الكريم إلى ارتباط الرسالة المحمدية برسالات الرسل من قبله بمن فيهم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يحاول عليه الصلاة والسلام كسب اليهود إلى جانبه كما يدعي «وات»، ومن ذلك الآية الكريمة «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (الشورى: ١٣)، والآية «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» (الأحقاف: ٣٠). ولعله يتضح من هذا عدم وجود دليل وراء الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلن في بداية عهده في المدينة أن الإسلام متطابق مع اليهودية ليكسب اعتراف اليهود بنبوته، فلما أعرضوا هاجمهم واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم.

تاسيس دولة الإسلام خارجيًا
(بين المسلمين وغير المسلمين):

«أما على النطاق السياسي فقد وضع دستور المدينة (الوثيقة) بموجب معاهدات وأحلاف عقدها بينه وبين مشركي المدينة، ويهودها، وذلك بتنظيم العلاقات بين سكانها على اختلاف عقائدهم، حتى يعرف كل طرف الالتزامات المنوطة به، ولتتحدد معالم الحقوق والواجبات بين الأطراف المختلفة.

لقد نصت المعاهدة على قيادة محمد صلى الله عليه وسلم لسكان المدينة النبوية كافة، مسلمين ومشركين ويهود، فإليه في القيادة يرجع الأمر كله.

وما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده؛ فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، فالخلافات الجسيمة التي يخشى من فسادها على المجتمع ترد إلى شخص واحد، ألا يعني هذا أن هذا الشخص الذي يرجعون إليه في أمورهم هو قائد «أهل هذه الصحيفة» الذين هم أهل المدينة كافة. (السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص٣٩).

«كما نصت المعاهدة على تعاون أهل المدينة في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج، وبذلك توحدت صفوف أهل المدينة، وأصبح لهم هدف، هو الدفاع عن المدينة ضد كل اعتداء خارجي. كما أعلنت المعاهدة بصراحة أنه لا يجوز لمشرك من أهل المدينة أن يجير مالاً لقريش، أو نفسًا، وأن اليهود يعاونون المؤمنين في النفقة عليهم ما داموا محاربين، وبذلك أوشك الكفاح بين المسلمين وقريش أن يبدأ".

لقد كانت نظرته صلى الله عليه وسلم بعيدة؛ حيث استطاع بهذا المعاهدة أن يضمن حياد اليهود ومشركي المدينة في الصراع المتوقع حدوثه بينه وبين قريش وحلفائها، وبالتالي يتفرغ للسياسة الخارجية للدولة.

"لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إلى المدينة ويحشد قواته فيها، ويوحد صفوف

سكانها على اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم، ويجعلهم كتلة متحدة للدفاع ضد الغارات الخارجية" على شكل سرايا اعتراضية كان من أهدافها ما يلي:

١- إعلان الحرب على قريش تنفيذًا لأمر الله عز وجل «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ».

وقوله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ».

٢- إشعار أعداء الدولة الإسلامية الفتية "بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، ذلك الضعف الذي مكّن قريشًا في مكة من مصادرة عقائدهم، وحرياتهم، واغتصاب دُورهم وأموالهم".

٣- استهدفت السرايا إرباك قريش وحلفائها، وإضعافهم، وتحطيم معنوياتهم بضرب نشاطهم التجاري الذي يمثل عصب حياتهم، وشريان وجودهم؛ وذلك يبث الرعب والفزع في نفوسهم بإثارتهم الدائمة، فهم يتوقعون هجوم المسلمين في كل لحظة، مما يشل تفكيرهم، فيسلبهم بذلك مبدأ المبادرة الأساسي في تحقيق أي نصر.

٤- تدريب قوات المسلمين على القتال لتتحقق لهم اللياقة الكاملة اللازمة لخوض غمار المعارك الكبرى، فهم في حالة استنفار قصوى منذ بدأت السرايا الأولى، "ومن جهة أخرى جاءت هذه الهجمات أشبه بمناورات حيّة كان المقاتل المسلم يجس عن طريقها نبض أعدائه ويختبر إمكاناتهم الحربية، ماديًا، ومعنويًا، ويمارس مزيدًا من التدريب وتنمية قدراته وطاقته على الصمود".

٥- عقد المعاهدات مع حلفاء قريش التجاريين الذين تخلوا عن حلفهم القديم المسمى بالإيلاف، وبالتالي ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيادة هذه القبائل وعدم نصرتها لقريش حتى يتمكن المسلمون من التعرض لقوافلهم وهي مفتقرة لحماية الحلفاء.

٦- المعاملة بالمثل فكما أن قريشًا قد استولت على أموال المهاجرين في مكة، كان في الاستيلاء على قوافلهم نوع من العوض عما فقده المهاجرون من أموال ومتاع، وبالتالي "الحصول على مورد للتموين والتسليح في أعقاب الأزمة المالية التي كان المسلمون يعانون منها في مطلع عهدهم بالهجرة"، بسبب ما تركوه من مال ومتاع في مكة فرارًا بدينهم وحفاظًا على عقيدتهم وهجرة إلى الله ورسوله "فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جديًا في استخلاص أموالهم من قريش". (السرايا والبعوث النبوية، لبريك العمري ص٧٤، ٧٥).

أيضًا تنص الوثيقة كما قال صلى الله عليه وسلم: «وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة (المواساة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وان سلْم المؤمنين واحدة (أي: لا يصالح واحد دون أصحابه، وانما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملتهم على ذلك». (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٩٤/٢).

لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضًا، وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وانه من اعتبط (قتل بلا جناية) مؤمنًا قتلا عن بينة فإنه قودٌ (قصاص) به، إلا أن يرضى ولي المقتول، وان المؤمنين عليه كافةً، ولا يحل لهم إلا القيام عليه، وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأن من نصره أو آواه فعليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم.

وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم ؛ إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف».

فهذه تسع قبائل، أو تجمعات يهودية، تنص الوثيقة عليها، وتقرر لهم مثل ما ليهود بني عوف، وتضيف إلى ذلك أن مواليهم وبطانتهم كأنفسهم.

وتقرر الوثيقة النبوية أن بينهم النصح - هم والمسلمون - على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصر والنصيحة، والبر دون الإثم، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. (أي: الله شاهد ووكيل على ما تم الاتفاق عليه).

فهذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على

المسلمين. (نبي الرحمة، لعبد الرحمن بن عبد الله (ص٢٣)).

«وإنَّ بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرُجُ منهُم أحدٌ إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ينحجزُ على ثأر جُرح، وإنه مِنْ فتك، فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا منْ ظلمَ وإنَّ الله على أبرِّ هذا، وإنَّ على اليهود نفقتهُمْ وعلى المسلمينَ نفقتهُم، وإنَّ بينهُمُ النصرَ على منْ حاربَ أهل هذه الصحيفة، وإنَّ بينهُمُ النُّصحَ والنصيحة، والبرَّ دونَ الإثم، وإنهُ لم يأثم امرُؤٌ بحليفه، وإنَّ النَّصرَ للمظلوم، وإنَّ يثرب حرامٌ جوْفُها لأهل هذه الصَّحيفة، وإنَّ الجارَ كالنَّفس غيرَ مُضارٍّ ولا آثم، وإنَّهُ لا تُجارُ حُرمةٌ إلا بإذن أهلها.

وإنَّهُ ما كانَ بينَ أهل هذه الصَّحيفة منْ حدث أو اشْتجار يُخافُ فسادُهُ، فإنَّ مردَّهُ إلى الله وإلى مُحمَّد رسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وإنَّ الله على أتقى ما في هذه الصَّحيفة وأبرِّه، وإنهُ لا تُجارُ قُريْشٌ ولا منْ نصرها، وإنَّ بينهُمُ النَّصرَ على منْ دهمَ يثْرِبَ، وإذا دُعوا إلى صُلح يُصالحُونهُ ويلبسُونهُ فإنَّهُمْ يُصالحُونهُ، وإنَّهمْ إذا دُعوا إلى مثل ذلك، فإنَّهُ لهُمْ على المؤمنين، إلا منْ حاربَ في الدِّين؛ على كُلِّ أناس حصَّتُهُمْ منْ جانبهمُ الَّذي قبلهُمْ، وإنَّهُ لا يحُولُ هذا الْكتابُ دُونَ ظالم أو آثم، وإنَّهُ منْ خرجَ آمنٌ، ومنْ قعدَ آمنٌ بالمدينة إلا منْ ظلمَ أوْ أثمَ، وإنَّ الله جارٌ لمنْ برَّ واتَّقى». (البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٢٥، ٢٢٦).

وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العابثين ومدبري الفتن أيًا كان دينهم، وقد نصت- بوضوح- على أن حرية الدين مكفولة، فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامة، واستنزل تأييد الله على أبر ما فيها وأتقاه، كما استنزل غضبه على من يخون ويغش.

واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو، وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها. (فقه السيرة للغزالي (ص١٦٤).

ماذا بعد المعاهدة؟

قال الله تعالى: «أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ» (البقرة:١٠٠-١٠٢).

قال الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى: «وآفة العهود أن يرتبط الوفاء بها بمدى المنفعة المرجوة منها، فإذا بدا أن المعاهدة المبرمة لا تحقق المطامع المبتغاة، قلّ التمسك بها، والتمست الفرص للتحلل منها.

وقد كان اليهود يبنون عظمتهم المادية والسياسية على تفرق العرب، قبائل متناحرة، فلما دخل العرب على الإسلام، وأخذت الحزازات القديمة تتلاشى، وتتابعت الأيام تؤكد أن الإسلام سوف يصنع من العرب أمة واحدة، استشعر اليهود القلق، وساورتهم الهموم، وشرعوا يفكرون في الكيد لهذا الدين، والتربص بأتباعه». (فقه السيرة للغزالي بتصرف ص١٩٥).

«هنالك بدأ اليهود يفكرون من جديد في موقفهم من محمد وأصحابه لقد عقدوا معه عهدًا، وكانوا يطمعون في ضمه إلى صفوفهم ليزدادوا به قوة؛ ولكنه أصبح هو أقوى منهم، وإنه ليتجه بقوته إلى المجال الخارجي، ويعمل على توسيع نطاق دعوته ونفوذه، أفيتركونه يمد سلطانه وينشر دعوته على هذا المدى الواسع، ويكتفون بالأمن في جواره أمنًا يمكن لمصالحهم المادية أن تتسع؟ لعلهم كانوا يقنعون بذلك لو أمنوا أن دعوته لا تمتد إلى اليهود ولا تفشو في عامتهم، على حين تقتضيهم تعاليمهم ألا يعترفوا بنبي من غيرِ بني إسرائيل.

لكن رجلاً من علمائهم وأحبارهم هو عبد الله بن سلام القينقاعي لم يلبث حين اتصل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- أن أسلم هو وأهل بيته وجابه اليهود بإسلامه ودعاهم إلى الإسلام، وهنا أجمع اليهود أمرهم أن يكيدوا لمحمد وينكروا نبوته. وما أسرع أن اجتمع إليهم من بقي على الشرك من الأوس والخزرج، ومن دخل في الإسلام منهم بظاهره جريًا وراء مغنم أو رضاءَ بصحبة لم يقوَ على مخالفتها».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٧٢)

قصة العمود المهتز الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من هزه

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمتصوفة، والذي أدى إلى انتشارها واشتهارها أن هذه القصة في مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة، بل وذكرت هذه القصة في كتب الترغيب والترهيب التي يعتمد عليها أكثر القصاص والوعاظ بغير دراية لمناهج أصحابها، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: المتن:

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله عمودًا من نور أسفله تحت الأرض السابعة، ورأسه تحت العرش، فإذا قال العبد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله اهتز ذلك العمود، فيقول الله عز وجل: اسكن، فيقول: يا رب كيف أسكن ولم تغفر لقائلها، فيقول الله عز وجل: اسكن فإني قد غفرت لقائلها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من هزّ ذلك العمود». اهـ.

ثانيًا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الحافظ محدث العراق أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين (٢٩٧- ٣٨٥هـ) في كتابه «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك»، باب: «فضل لا إله إلا الله» الحديث رقم (٢) قال: حدثنا محمد بن مخلد بن حفص، قال: حدثنا عبدوس بن بشر حدثنا أبو عبد الرحمن عبد العزيز بن عبد الواحد العسقلاني، قال حدثنا أبو نعيم عمر بن صبح، عن مقاتل بن حبان، عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله عمودًا...» الحديث.

وأخرج أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه «إثبات صفة العلو» (ص٨٥) قال: أخبرنا أبو العز محمد بن محمد بن مواهب الخراساني الأديب أنبأنا أبو الحسين بن الطيوري، أنبأنا محمد بن علي بن الفتح الحربي، أنبأنا أبو حفص بن شاهين، حدثنا محمد بن مخلد به.

ثالثا: التحقيق

١- محمد بن مخلد بن حفص قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/٣١٠/١٤٠٦): «محمد بن مخلد بن حفص أبو عبد الله الدوري العطار روى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين.. وآخرون». اهـ.

٢- عبدوس بن بشر قال الحافظ في «تاريخ بغداد» (١١/١١٦/٥٨١٠): «عبدوس بن بشر بن شعيب أبو محمد، رازي الأصل، روى عنه محمد بن مخلد العطار.. وآخرون». اهـ.

٣- الغرائب والأفراد:

هذا الحديث الذي جاءت به القصة من حديث ابن عباس مرفوعًا بهذا السياق هو من الغرائب والأفراد، لذلك ذكره الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي في كتابه «أطراف

الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني» (١٩١/٣) والذي منهجه فيه:

أ- ترتيب كتاب الدارقطني في الأفراد على مسانيد الصحابة رضي الله عنهم، وبدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة.

وهذا ما بينه الإمام الحافظ أبو الفضل المقدسي في «المقدمة» (٤٣/١) فقال: «لما دخلت بغداد في أول رحلتي إليها، وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة، كنت مع جماعة من طلاب الحديث في بعض المساجد ننتظر شيخنا فوقف علينا أبو الحسن أحمد بن الحسن المقري وكيل القضاة ببغداد، فقال: "يا أصحاب الحديث اسمعوا ما أقول لكم، فأنصتنا إليه، فقال: كتاب الدارقطني في الأفراد غير مرتب فمن قدر منكم على ترتيبه أفاد واستفاد، فوقع إذ ذاك في نفسي ترتيبه إلى أن يسهل الله عز وجل ذلك في سنة خمسمائة..." اهـ.

قلت: انظر إلى علو الهمة والحرص على النصيحة، ولو مرت عليها السنون يتبين ذلك بالنظر إلى مولده ووفاته (٤٤٨- ٥٠٧هـ).

ب- ذكر طرف الحديث وهو الجزء من متنه الدالّ على بقيته في مسند صحابيه.

هـ- ذكر قول الحافظ الدارقطني عقب الحديث والذي به يستبين سبب تفرده.

قلت: وهذا الذي ذكرناه هو من أهم أهداف هذه السلسلة في بيان مناهج المحدثين والصناعة الحديثية في علم الحديث التطبيقي.

تطبيق المنهج

أ- وهذا هو منهج الإمام الحافظ أبي الفضل المقدسي عند ذكره حديث القصة، فقد أورده في «مسند ابن عباس من رواية الضحاك بن مزاحم عنه» (ح٢٤٠٥).

ب- ثم ذكر طرف الحديث فقال: حديث: «إن الله عز وجل عَمُودًا...» الحديث.

ج- ثم نقل عن الدارقطني قوله في سبب إخراجه لهذا الحديث في الأفراد قال: «تفرد به عمر بن الصبح عن مقاتل بن حيان عنه».

قلت: قوله: «عنه» أي: عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرفوعًا.

٤- وهذا التفرد له أهميته في الصناعة الحديثية: حيث يتبين منه أن عمر بن الصبح ليس له متابع وهو علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة بهذا السياق، حيث إن هذا الخبر بهذا السياق تفرد به عمر بن الصبح عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرفوعًا.

٥- ولقد أخرج هذا الخبر الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٦٦/٣) من طريق الدارقطني، ثم نقل قول الدارقطني في التفرد، ثم بيّن العلة فقال: «قال الدارقطني: تفرد به عمر بن الصبح، قال ابن حبان: عمر يضع الحديث على الثقات».

تصحيف

ملحوظة مهمة: وقع عند الإمام ابن الجوزي رحمه الله تصحيف في إسناد حديث عمر بن الصبح عن «مقاتل بن حيان» صُحف فقيل: عن «مقاتل بن حبان» أي: صُحِّفت الياء باءً. ولعله من النقلة، ومن الطبع، لكن وجدته أيضًا وقع عند الإمام السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٣٤٣/٢) عند ذكره لهذا الحديث عن الدارقطني.

بل ولا يوجد فيمن روى عنهم عمر بن الصبح ما يسمى «مقاتل بن حبان» يتبين ذلك من «تهذيب الكمال».

٦- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٨٤٣/٩٥/١٤): «عمر بن الصبح بن عمران التميمي، أبو نعيم الخراساني السمرقندي روى عن مقاتل بن حيّان.. وآخرين، ثم قال: «قال إسحاق بن راهويه: أخرجت خُراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير- يعني: في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، وعمر بن الصبح، ومقاتل بن سليمان». اهـ. وقال أبو الفتح الأزدي: «عمر بن الصبح كذاب». اهـ.

٧- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦١٤٧/٢٠٦/٣): «عمر بن صبح الخراساني أبو نعيم عن: قتادة ويزيد الرقاشي، وعنه: عيسى بن موسى غُنْجار، ومحمد بن يعلى زُنبور، وجماعة من المجاهيل ليس بثقة ولا مأمون، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال الأزدي: كذاب». اهـ.

٨- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»

(٨٨/٢): «عمر بن صبح: يروي عن قتادة، ومقاتل بن حيان، روى عنه العراقيون كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

قلت: إذن الحديث موضوع.

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

قلت: ولقد بيّن ذلك الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١) قال: «الموضوع هذا الكذب المختلق المصنوع».

ثم بيّن رتبته فقال: «هو شر الضعيف وأقبحه».

ثم بيّن حكمه فقال: «تحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه».

٩- قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤/٥) (١١٩٧/٢٣٠):

أ- «عمر بن صبح بن عمران التميمي يكنى أبا نعيم، منكر الحديث عن مقاتل بن حيان وغيره».

ب- ثم قال: حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري، حدثني يحيى، عن علي بن جرير قال: سمعت عمر بن صبح يقول: «أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر أحاديث من مناكيره، ثم قال: ولعمر بن صبح غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ لا متنًا ولا إسنادًا». اهـ.

١٠- وقال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤٠٨/٧): «عمر بن الصبح بن عمران التميمي العدوي أبو نعيم الخراساني السمرقندي. قال البخاري في التاريخ الأوسط: حدثني يحيى اليشكري عن علي بن جرير، سمعت عمر بن صبح يقول: أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم».

١١- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١٦/٦): سمعت أبي يقول: «عمر بن صبح السمرقندي هو منكر الحديث». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق تصبح قصة «العمود المهتز الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من هذه». قصة واهية موضوعة خبرها آفته عمر بن الصبح الوضاع الكذاب تفرد به من حديث ابن عباس.

رابعا: طريق آخر من حديث أبي هريرة

وحتى لا يتوهم البعض أن هذا الطريق شاهد لحديث ابن عباس الذي تفرد به عمر بن صبح سنبين حقيقة هذا الطريق من حديث أبي هريرة سندًا ومتنًا.

١- متن القصة من حديث أبي هريرة:

رُوي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ لله تبارك وتعالى عمودًا من نور بين يديه، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الرب جل جلاله اسكن، فيقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها، فيقول الله عز وجل إني قد غفرت له فيسكن».

ملحوظة: يتبين بالمقارنة بين الطريقين اختلاف السياق:

أ- فسياق حديث ابن عباس فيه بيان لأسفل العمود ورأسه، فأسفله تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش، وهذا لا يوجد في حديث أبي هريرة.

ب- وسياق حديث ابن عباس فيه ذكر الشهادتين: أشهد أن لا إله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأما حديث أبي هريرة فاقتصر على ذكر كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

ج- وسياق حديث ابن عباس فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من هز ذلك العمود». وهذا لا يوجد في حديث أبي هريرة.

قلت: وقد لا يدرك أهمية هذه المقارنة من لا دراية لهذا الفن، فالمقارنة بين السياق عند تعدد الطرق مهم جدًا عند إقامة دعوى التفرد.

د- يتبين ذلك من قول الحافظ ابن حجر في كتابه «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٧٠٨/٢) ط (الجامعة الإسلامية) النوع السابع عشر «معرفة الأفراد»: حيث قال: «وقد يطلقون تفرد الشخص بالحديث ومرادهم بذلك تفرده بالسياق لا بأصل الحديث». اهـ.

قلت: فإيراد طريق حديث أبي هريرة لا ينفي دعوى التفرد في حديث ابن عباس الذي أخرجه الإمام الدارقطني في كتابه «الأفراد». وبيّن ذلك

الحافظ أبو الفضل المقدسي في كتابه «أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني» كما بينا هذا التفرد آنفًا. ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «النكت على ابن الصلاح» (٧٠٩/٢): «وإنما يحسن الجزم بالإفراد عليهم حيث لا يختلف السياق أو حيث يكون المتابع ممن يعتبر به لاحتمال أن يريدوا شيئًا من ذلك بإطلاقهم». اهـ.

م- قال الإمام السخاوي في كتابه «فتح المغيث» (٤٦/٢): «إنما يحسن الجزم بالتعقب في دعوى الفردية؛ حيث لم يختلف السياق، أو يكون المتابع ممن يعتبر به لاحتمال إرادة شيء من ذلك بالإطلاق». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الحافظ السخاوي وانطباقه تمام الانطباق على قول شيخه الحافظ ابن حجر.

خامسا: تطبيق هذه القاعدة على حديث أبي هريرة

١- اختلاف السياق: ولقد بينا آنفًا اختلاف سياق حديث ابن عباس عن حديث أبي هريرة في ثلاث جمل ولم يتفقا إلا في المعنى بالنسبة للاهتزاز.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٣٢): «وإن وجد متن يروى من حديث صحابي آخر يشبهه في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط؛ فهو الشاهد». اهـ.

٣- وهذا الشاهد وهو حديث أبي هريرة لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد كما نبينه من التحقيق.

سادسا: التحقيق

حديث أبي هريرة أخرجه البزار في «مسنده» (ح٨٠٦٥) قال: «حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن المنكدر، عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تعالى عمودًا من نور..» الحديث.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٦٤/٣) من طريق عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري به، وقال: «غريب من حديث صفوان تفرد به ابن المنكدر». اهـ.

قلت: وعلته عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو.

١- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤١٩٠/٣٨٨/٢): عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو عبد الله بن أبي عمرو المدني يُدلِّسونه لوَهَنه، روى عن عبد الله بن أبي بكر، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال الدارقطني: حديثه منكر. ثم ذكر الحافظ الذهبي أحاديث مناكير له منها هذا الحديث في قصة: «اهتزاز العمود».

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٦/٢): «عبد الله بن أبي عمرو الغفاري روى عنه سلمة بن شبيب، كان ممن يأتي عن الثقات المقلوبات، وعن الضعفاء الملزقات». اهـ.

ثم ذكر له حديث أبي هريرة في اهتزاز العمود، فالحديث موضوع.

٣- قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٢٠/٥): «عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري قال أبو داود: شيخ منكر الحديث، وقال الساجي منكر الحديث، وقال الحاكم: روى عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة لا يرويها غيره». اهـ.

٤- قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٧٨٢/٢٣٣/٢): «عبد الله بن إبراهيم الغفاري كان يغلب على حديثه الوهم». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٩/٤) (١٠٠٣/٣٦): «عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري مدني يكنى أبا محمد ثم أخرج له خمسة عشر حديثًا من مناكيره، ثم قال: وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه». اهـ.

قلت: وفي هذه الدراسة من الإمام الحافظ ابن عدي للمتون في أكثر من ستين سطرًا، ثم يحكم على الراوي بحكم يخرجه من مرتبة الاحتجاج، بل يخرجه من مرتبة المتابعات والشواهد. بل يجعل الراوي في مرتبة الرد والترك، فهذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن.

فائدة: وفي هذا رد على مزاعم المستشرق «شاخت»: ما ادعاه- جهلًا وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن. اهـ. «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف:٥).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٨)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن العقل والنقل، على أن ظاهر النصوص دالة على أن معية الله تعالى هي علمه بخلقه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن المناسب - بعد أن أقمنا في الحلقة السابقة من الأدلة على إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى، ما به تقام الحجة - أن نذكر بأنه مع جملة هذه النصوص لا يتأتى ولا يستقيم بحال: ما جنح إليه الحلولية ومنكرو صفة العلو من حمل صفتي المعية والقرب لله على حلولية ذاته في الأشياء.

إعداد/ **د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

لكون ظاهرهما المدلول عليه بقرائن الشرع والمفهومة من سياق النصوص: دال على أنهما قرب رحمة ومعية علم أو علم وكلاءة، وإلا لو كان تعالى بذاته "في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه وفي الحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق فيها ما لم يكن، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا ويميننا وشمالنا، وهذا ما أجمع المسلمون على خلافه وعلى تخطئة قائله".. كذا ذكره العلامة القاضي أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ في كتابه الإبانة، فيما نقله عنه الحافظ الذهبي في العلو ص ١٧٤ والألباني في مختصره ٢٥٨.

تقرير مذهب أبي الحسن الأشعري لصفة الفوقية، وبيان أن لازم إنكار المتكلمة لها: مخالفة مذهبه والقول بالحلولية وما عليه الجهمية:

ولقد حكى الأشعري مقولة الجهمية في (الحلول والادعاء أنه تعالى في كل مكان) عن بعض المعتزلة والتي تبعهما فيها المتكلمة، وتبرأ منها في (الإبانة) وفي (مقالات الإسلاميين)، فذكر في الأول منهما ص ٨٤ ما نصه: "وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً".. كما ذكر في المقالات ص ١٥٧ أن المعتزلة الذين طالما ارتبط اسمهم باسم الجهمية، اختلفوا "في ذلك، فقال قائلون: (البارئ بكل مكان) بمعنى أنه مدبر لكل مكان.. وقال قائلون: (البارئ لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه)". وكان مما ذكره عن الجهمية ص ٢٨٧ بنفس المصدر قول بعضهم: "إن الله بكل مكان".

الأشعري يفند كلام مدعي الانتساب إليه ممن تأثروا بكلام الجهمية والمعتزلة، بأدلة العقل والنقل:

وفي رد كل ذلك وتفنيده بأدلة العقل يقول الأشعري في كتاب الإبانة ص ٨٣، ٨٤: "قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) (طه/ ٥) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون مستو على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء.. فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مستو على الأشياء كلها، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على كل هذه الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.. ويقال لهم: (إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنىً يختص العرش دون غيره، وكان الله في كل مكان، فهو تحت الأرض.. وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته)، وفي هذا ما

يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض".. ثم راح - رحمه الله - يسوق من أدلة النقل ما به تقام الحجة.

ويقرر مذهب أهل السنة والحديث في إثبات وتفسير صفات (الفوقية) و(القرب) و(المعية): وللأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٩٠ وبعد أن ذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم، قوله عن (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة): "الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يردون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: (الرحمن على العرش استوى).. وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق/١٦)" إلى أن قال: "فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب".

ويخلص الأشعري في كتابه الإبانة ص ٢١ إلى أن الله تعالى "فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد".. بل ويسوق رحمه الله الإجماع على ذلك فيقول في (رسالة أهل الثغر) ص ٢٣٢ وما بعدها، ما نصه: "وأجمعوا - يعني: أهل السنة - على أنه عز وجل.. فوق سماواته على عرشه دون أرضه.. وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السماوات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله على ذلك بقوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) (الحديد/ ٤)، وفسر ذلك أهل العلم بالتأويل: أن علمه محيط بهم حيث كانوا".. هكذا يكون الجمع في الإثبات بين صفات الفوقية والقرب والمعية، فيتصادق صريح العقل مع صحيح النقل ولا يتصادمان.

ومن المناسب - ونحن نتكلم عن مذهب سلف الأمة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري الذي لا يختلف عليه اثنان - أن ننوه إلى أنه قد آن الأوان لأن يجتمع سنة العالم وعلى رأسهم مصر والسعودية على كلمة سواء، تكون نقطة بدايتها: صحيح الاعتقاد وما استقر عليه أمر الأشعري ت ٣٢٤ في كتابه (الإبانة) الذي هو أرسخ وأعمق تراثية من كتب علماء الكلام من نحو التفتازاني ت ٦٩٢، لاسيما في ظل هذه الأجواء المفعمة بالحب والإخاء ورغبة خادم الحرمين الشريفين في إعادة ترميم الجامع الأزهر لاستكمال رسالته المنوطة به على أتم وجه، وبخاصة مع ما أشار إليه فضيلة شيخ الأزهر من أن هذا الأمر من قِبل خادم الحرمين "يعكس النهج الكريم الذي يتبناه في ترسيخ مفهوم وسطية الإسلام وسماحته، وهو النهج نفسه الذي يتبناه الأزهر ويسير عليه منذ أكثر من ألف عام".. إذ ليس أبقى ولا أنفع ولا أجدى لاصطفاف الأمة، من وحدة المعتقد وسلامته، وبخاصة ما تعلق من ذلك بقضايا: (تأويل الصفات) و(تقديم العقل على النقل عند التعارض) لمن يدعيه، و(الزعم بأن جنس العمل ليس داخلاً من مسمى الإيمان)، بل لا سبيل لتحقيق وحدة الكلمة والقضاء على ظاهرة التكفير وسائر مظاهر التطرف والتشرذم إلا بجمع الأمة على عقيدة صحيحة.

من أدلة النقل وأوجه دلالتها على إثبات صفة (المعية) بنوعيها لله تعالى:

ومن الأدلة على إثبات المعية العامة من غير ما ذكرنا في آيتي الحديد والمجادلة، ما جاء في قوله تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء/ ١٠٨)، والقول فيها هو نفس ما قيل ما في سابقتيها، من أن الله تعالى بائن من خلقه وهو معنا بعلمه، لكون ذاته سبحانه فوق عرشه بلا حد ولا كيف وعرشه فوق سماواته، وأن هذا ما كان عليه النبي والصحابة، وما أجمع عليه تابعيهم بإحسان.

أما أدلة المعية الخاصة، فنذكر من أدلتها قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ ١٥٣)، وقوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة/ ١٩٤)، وقوله: (قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران/ ٨١)، وقوله: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) (المائدة/ ١٢)، وقوله: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) (الأنفال/ ١٢)، وقوله عن النبي وصاحبه أبي بكر: (الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

ٱللَّهَ مَعَنَا) (التوبة/ ٤٠)، وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ) (النحل/ ١٢٨)، وقوله: (قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ) (طه/ ٤٦)، وقوله: (قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ) (الشعراء/ ٦٢)، وقوله: (وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) (العنكبوت/ ٦٩)، وقوله: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدۡعُوٓا إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ) (محمد/ ٣٥).. ومما ورد في السنة بهذا الخصوص: ما أخرجاه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني.. الحديث).. إلخ.

فهذه النصوص من الآيات والأحاديث وما جاء على شاكلتها، بمعونة السياقات وقرائن الأحوال، لا يصلح حمل المعية فيها إلا على النحو الذي ذكرنا، جمعاً بينها وبين النصوص الدالة على عموم معيته تعالى هذا من جانب، وبينها وبين النصوص الدالة على فوقيته تعالى وعلوه والمصرحة بذلك من جانب آخر.. على أن هذه المعية والتي من لوازمها النصر والتأييد والحفظ والمعونة والكلاءة، سميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وملائكته وأولياءه دون غيرهم من الخلق، على ما أفاده قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ) (الأنفال/ ٦٢)، وقوله: (تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ) (الأنفال/ ٢٦)..

يقول الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ١١ تعليقاً على الحديث السابق: "فيه تصريح بأن الله مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليهم برحمته، ويمدهم بتوفيقه وتسديده، فإن قلت: هو مع جميع عباده كما قال: (وهو معكم أينما كنتم) وقوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.. الآية)، قلت: هذه معية عامة، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له والتفضل عليه، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين، وكونه مع المتقين، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة" ا.هـ.

وقد نص على تقسيم المعية إلى خاصة وعامة، عدد غفير من أئمة العلم وعلى رأسهم وكما رأينا: إمام المذهب أبو الحسن الأشعري، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، ومما أورده رحمه الله في هذا الصدد، قوله في مجموع الفتاوى ١١/ ٢٤٩: "لفظ (مع) جاء في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية – آية الحديد – وفي آية المجادلة، حيث افتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: (هو معهم بعلمه)، وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، وقوله لموسى: (إنني معكما أسمع وأرى)، وقوله: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين".. وسيأتي ذكر المزيد من أقوال أئمة السلف في هذا.

والادعاء بأن ذلك تأويل، ادعاء باطل.. إذ لا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، أو شبيهة بمعيتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك، فالقمر – مثلاً – آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر.. وإذا كانت المعية متحققة بهذا في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه، أولي.

قرائن اللغة على أن المعية في ظاهرها معية علم أو علم وكلاءة:

وفي رد من ادعى أن ذلك تأويل يقول الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه (ذم التأويل) ص ٥٥: "فإن قيل: قد تأولتم آيات وأخباراً، فقلتم في قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)، أي: بـ (العلم)، ونحو هذا من الآيات والأخبار، فيلزمكم ما لزمنا، قلنا: نحن لم نتأول شيئاً وحمل هذه الألفاظ علي هذه المعاني ليس بتأويل، لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذه المعاني هي الظاهرة من هذه الألفاظ، بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها، وظاهر اللفظ هو ما سبق إلى الفهم منه، حقيقة

كان أو مجازاً، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة، كاسم (الراوية) و(الظعينة) وغيرهما من الأسماء العرفية، فإن ظاهر هذا: المجاز دون الحقيقة، وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل.. وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعي وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والزكاة والحج، إنما ظاهرها: العرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية..

واذا تقرر هذه فالمتبادر إلى الفهم من قولهم: (الله معك)، أي: بالحفظ والكلاءة، ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة/ ٤٠)، وقال لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه/ ٤٦)، ولو أراد: أنه بذاته مع كل أحد، لم يكن لهم بذلك اختصاص، لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم، ولم يكن موجباً لنفي الحزن عن أبي بكر ولا علة له، فعُلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حُملت عليه، فلم يكن تأويلاً"..

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/ ١٠٣: "إن لفظ (مع) في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت المقارنة على ذلك المعنى.. ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضها في الموضع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع".. كذا بما يعني أن ظاهر المعية المتبادر إلى الذهن بحق الخالق وعلى ما تقتضيه لغة لعرب، لا يحمل بحال معاني الحلول على ما يستلزمه كلام المتكلمة ويدعيه غلاة الصوفية.

ومن جليل ما قاله العالم اللغوي والإمام الحافظ الأديب ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٣٩، ٢٤٠: "نحن نقول في قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم): إنه معهم بالعلم بما هم عليه، كما تقول للرجل - وجُهته إلى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك -: (احذر التقصير والاغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك، فإني معك)، تريد: أنه لا يخفى عليَّ تقصيرك أو جدك.. وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله: (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)؟، وكيف يصعد إليه شيء هو معه، أو يُرفع إليه عمل هو عنده، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه يوم القيامة؟.. ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق، لعلموا أن الله هو العلي وهو الأعلى، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه.. والأمم كلها عربيها وعجميها تقول: (إن الله في السماء) ما تركت على فطرها"ا.هـ بتصرف.

ومما أفاده الشيخ حكمي، في شرح (سلم الوصول ١/ ٨٧، ١٥٤): أنه تعالى لا ضد له، ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته.. وهو الذي كل معاني العلو ثابتة له، فعلوه علو قهر إذ لا مغالب له ولا منازع، وكل شيء تحت سلطان قهره، كما أنه علو شأن لكونه المتعالي عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فقد تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل.

كذا ثابت له بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة: العلو والفوقية.. فهو جل جلاله كما أنبأ عن نفسه مستو على عرشه عال على خلقه بائن منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره.. ولا منافاة بين قربه وبين علوه، فإنه المتصف في دنوه بجميع معان العلو ذاتاً وقهراً وشأناً، فيدنو تعالى من خلقه بكيفية لا يعلمها إلا هو كيف يشاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية وغير ذلك كيف يشاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف يشاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته ولا لاستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

الـركــوع

(تعريفه، حكمه، حكمته، الاطمئنان فيه، صفته، ما يقال فيه)

إدراك الركعة به

الحلقة الثالثة

إعداد/ **د. حمدي طه**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الركوع، ونقول وبالله تعالى التوفيق:

هل يجوز الدُّعاء في الرُّكوع؟

بوب البخاري علي ذلك (بَاب الدُّعَاء في الرُّكُوع) عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى.

قال ابن حجر: تَرْجَمَ بَعْد هَـذَا بِـأَبْـوَاب التَّسْبِيح وَالدُّعَاء في السُّجُود، وَسَاقَ فِيهِ حَدِيث الْبَاب، فَقِيل: الْحِكْمَة في تَخْصِيص الرُّكُوع بِالدُّعَاء دُون التَّسْبِيح - مَعَ أَنَّ الْحَدِيث وَاحِد - أَنَّهُ قَصَدَ الْإِشَارَة إِلَى الرَّدّ عَلَى مَنْ كَرِهَ الدُّعَاء في الرُّكُوع كَمَالِك، وَأَمَّا التَّسْبِيح فَلَا خِلَاف فِيهِ، فَاهْتَمَّ هُنَا بِذِكْرِ الدُّعَاء لِذَلِكَ. وَحُجَّة الْمُخَالِف الْحَدِيث الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِم مِنْ رِوَايَة اِبْن عَبَّاس مَرْفُوعًا وَفِيهِ « فَأَمَّا الرُّكُوع فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبّ، وَأَمَّا السُّجُود فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاء، فَقَمِن أَنْ يُسْتَجَاب لَكُمْ » لَكِنَّهُ لَا مَفْهُوم لَهُ، فَلَا يَمْتَنِع الدُّعَاء في الرُّكُوع كَمَا لَا يَمْتَنِع التَّعْظِيم في السُّجُود. وَظَاهِر حَدِيث عَائِشَة أَنَّهُ كَانَ يَقُول هَذَا الذِّكْر كُلّه في الرُّكُوع وَكَذَا في السُّجُود. (فتح الباري ٣/١٨١).

إدراك الركعة بالركوع:

هذه المسألة من المسائل التي يكثر السؤال عتها وكذا الجدال حولها حتى اتخذها البعض وسيلة للقدح في صاحب الرأي المخالف، لذلك سنحاول عرض أراء العلماء في هذه المسألة دون التعرض لقول بشيء في انتقاص قدر لأصحابه.

اختلف أهل العلم فيما يدرك به المسبوق الركعة مع الإمام على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الركعة تُدرك بإدراك الركوع مع الإمام، وهذا قول جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً كالأئمة الأربعة وغيرهم. (التمهيد لابن عبد البر ٧/٧٣).

واستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بما يلي:

الدليل الأول: حديث أبي بكرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - أنه دخل المسجد، والنبي صلى الله عليه وسلم راكع فركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته قال: « أيكم الذي ركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف؟ فقال أبو بكرة: أنا يا

رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: زادك الله حرصاً ولا تعد». أخرجه البخاري.

ووجه الاستدلال: أن الصحابة - رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ - كان مستقراً عندهم أن الركوع تدرك به الركعة، وأيضاً: فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أبا بكرة بإعادة الصلاة فيدل على أنه أدرك الركعة. (انظر: فتح الباري ٢/١٥٦ بتصرف).

وأجاب المخالف عن حديث أبي بكرة فقالوا: إنه لا حجة لهم فيه لأنه ليس فيه اجتزاء بتلك الركعة وَأَنَّهُ لَمْ يَقْضِهَا فليس فيها ما يدل على ما ذهبوا إليه؛ لأنه كما لم يأمره بالإعادة لم ينقل إلينا أنه اعتد بها. والدعاء له بالحرص لا يستلزم الاعتداد بها؛ لأن الكون مع الإمام مأمور به سواء كان الشيء الذي يدركه المؤتم معتدًا به أم لا، فسقط الاستدلال بالحديث. (ابن حزم في المحلى ٢/٣٨٨ والشوكاني في نيل الأوطار ٢/٢٣٩).

ويُمكن الجواب عنه: بأنه ليس فيه ما يدل على أنه قضاها بل فيه ما يدل على أنه لم يقضها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قضى صلاته: أيكم الذي ركع دون الصف فأجابه أبو بكرة، وهذا يدل على أنه سلم معه.

الدليل الثاني: عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جئتم ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئاً، ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة». أخرجه أبو داود وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدركها قبل أن يقيم الإمام صلبه».

ووجه الاستدلال: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من جاء إلى الصلاة والإمام ساجدٌ أن يسجد معه، لكنه لا يحتسب تلك الركعة، وإن أدركه في الركوع دخل معه واحتسب تلك الركعة والمراد به ها هنا الركوع فيكون مدرك الإمام راكعًا مدركا لتلك الركعة. وأما الرواية الثانية فإن ظاهر الحديث بل صريحه أن المؤتم إذا وصل والإمام راكع وكبر وركع قبل أن يقيم الإمام صلبه فقد صار مدركا لتلك الركعة (عون المعبود - العظيم آبادي ٣/١٠٢).

وأجابوا عن ذلك: بأن فيه حمل الركعة الواردة في الحديث على الركوع، وهذا لا يصح لأن مسمى الركعة جميع أركانها وأذكارها حقيقة شرعية وعرفية، وهما مقدمتان على اللغوية، فإطلاق الركعة على الركوع وما بعده مجاز لا يُصار إليه إلا لقرينة كما وقع عند مسلم من حديث البراء: «فوجدت قيامه فركعته فاعتداله فسجدته». فإن وقوع الركعة في مقابل القيام والاعتدال والسجود قرينة تدل على أن المراد بها الركوع.وما نحن فيه ليس فيه قرينة تصرفه إلى الركوع. (تحفة الأحوذي - المباركفوري ٣/١٦٤، نيل الأوطار ٢/٢٣٩).

ويُمكن الجواب عنه: بأن في الحديث ما يدل على أن المراد الركوع وهو قوله قبل أن يقيم الإمام صلبه.

قال الشوكاني: فإن قلت: فأي فائدة على هذا في التقييد بقوله (قبل أن يقيم صلبه)؟ قلت: دفع توهم أن من دخل مع الإمام ثم قرأ الفاتحة وركع الإمام قبل فراغه منها غير مدرك.(نيل الأوطار ٢/٢٣٩).

الدليل الثالث: الآثار عن الصحابة - رضوانُ اللَّه عَلَيْهِمْ - منها:

ما روي أن ابن مسعود - رَضِي اللَّه عَنْهُ - قال: من لم يدرك الإمام راكعاً لم يدرك تلك الركعة. قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢/٢٦٢: وهذا إسناد صحيح.

وفي الباب عن زيد بن ثابت وابن عمر أيضاً.

ونوقش: بأنه قد ورد عن غيرهم خلاف ذلك فقد صح موقوفاً عن أبي هريرة قال: إذا أدركت القوم ركوعاً لم تعتد بتلك الركعة. قال الحافظ: وهذا هو المعروف عن أبي هريرة موقوفاً.

قال ابن حزم: «فَإِذَا تَنَازَعَ الصَّاحِبَان فَالْوَاجِبُ الرُّجُوعُ إلَى مَا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وسلم - وَلَا يَحِلُّ الرَّدُّ إلَى سِوَى ذَلِكَ؛ فَلَيْسَ قَوْلُ أحد حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ؛ لَكِنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - هُوَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ إنْسٍ وَجِنٍّ.(المحلى لابن حزم ٢/٢٩٠).

القول الثاني: أن من أدرك إمامه راكعاً فكبر ووقف حتى رفع الإمام رأسه من الركوع فقد أدرك الركعة، وعليه أن يركع بعد ذلك، وهذا قول محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وزفر ابن الهذيل، والليث بن سعد. (التمهيد - ابن عبد البر ٧/٧٣).

واستدلوا: بأنه أدرك الإمام فيما له حكم القيام بدليل جواز تكبيرات العيدين فيه، فصار كما لو كبر الإمام قائما فركع ولم يركع المؤتم معه حتى رفع رأسه. (تبيين الحقائق ٢/٣٧٧).

ونوقش: بأن الشرط هو مشاركة الإمام في أفعال الصلاة ولم توجد لا في القيام ولا في الركوع بخلاف ما استشهد به فإنه شاركه في القيام. (تبيين الحقائق ٢/٣٧٨).

قلت: وهذا الرأي ليس معه من النصوص ما يدعمه.

القول الثالث: أن من أدرك القوم ركوعاً لم يعتد بتلك الركعة، وينسب هذا القول إلى الإمام البخاري وابن خزيمة، وحكاه الرافعي عنه، وعن أبي بكر الصبغي، وغيرهما من محدثي الشافعية وقواه تقي الدين السبكي من المتأخرين والعراقي وابن حزم. (تحفة الأحوذي - المباركفوري ٣/١٦٤).

قلت: وقال به الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- من علماء أنصار السنة المعاصرين وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ١/٤١٥).

واستدلوا بما يلي:

الدليل الأول: أن القيام ركن من أركان الصلاة لقوله تعالى: «وَقُومُوا لله قَانِتِينَ»، وكذلك الفاتحة لحديث عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» والحديث متفق عليه. وما في معنى الحديث من الأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة في حق المأموم.

وجه الاستدلال: أن من أدرك الإمام في الركوع لم يدرك الركعة؛ لأنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ الْقِيَامَ ولم يقرأ الفاتحة فلابد من قضائهما. (المحلى ٢/٣٨٧).

ونوقش: بأنه يأتي بتكبيرة الإحرام وهو قائم ثم يركع فيكون قد أتى بركن القيام.

وأجيب: بأن الله عزَّ وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يأمرا الداخل في الصلاة أن يدخل في غير الحال التي يجد الإمام عليها، وأيضاً لا يجزئ قضاء شيء سبق به من الصلاة إلا بعد سلام الإمام، لا قبل ذلك. (المحلى لابن حزم: ٢/٣٩٠).

ورُدَّ: بأن الآية عامة وكذا الحديث وقد خُصصا بحديث أبي بكرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فإنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركوع ولم يأمره بالإعادة ولو كانت ركعته لا تصح لأمره أن يعيد؛ لأنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز. (عون المعبود - العظيم آبادي ٣/١٠٣).

الدليل الثاني: روى أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ائتوا الصلاة وعليكم السكينة فصلوا ما أدركتم، واقضوا ما سبقكم» أخرجه مسلم.

وجه الاستدلال: أن من أدرك الإمام في أول الركعة الثانية فقد فاتته الأولى كلها، وأن من أدرك سجدة من الأولى فقد فاتته وقفة وركوع ورفع وسجدة وجلوس، وأن من أدرك الجلسة بين السجدتين فقد فاته الوقفة والركوع والرفع وسجدة، وأن من أدرك الرفع فقد فاتته الوقفة والركوع، وأن من أدرك السجدتين فقد فاتته الوقفة والركوع وأن من أدرك الركوع فقد فاتته الوقفة وقراءة أم القرآن، وكلاهما فرض لا تتم الصلاة إلا به. (المحلى ٢/٣٨٨).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». رواه البخاري

وجه الاستدلال: أن المأموم المسبوق إذا وجد الإمام في الركوع فقد فاته القيام والقراءة فيجب إتمامها وإنما يكون ذلك بعد سلام الإمام فيقضي ركعة. (المحلى ٢/٣٩٩).

ورد: بأنه لا يخلو من أن تكون (ما) في الحديث عامة على أصل وضعها، شاملة لجميع ما في الصلاة، أو مخصوصة، والأول باطل؛ إذ يلزم منه قضاء فائت الثناء والتوجه، ونحو ذلك من الأدعية الواردة، وفائت السورة، وإن أدرك الفاتحة وغيرها من الأركان، والثاني مضرٌّ له، فإنه كما خصص اللفظ العام بالأركان والشرائط بدلائل أخر، فليخصص بما سوى الفاتحة بدلائل أُخر، وهي النصوص التي تدل على إدراك الركعة بالركوع وسقوط الفاتحة عنه.

ورد بأن المصلي مَأْمُورٌ بِنَصِّ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِقَضَاءِ مَا سَبَقَهُ وَإِتْمَامِ مَا فَاتَهُ؛ فَلَا يَجُوزُ تَخْصِيصُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ نَصٍّ آخَرَ؛ وَلَا سَبِيلَ إلَى وُجُودِهِ. (المحلى ٢/٣٩٠).

وبعد أن عرضنا لأهم الأدلة التي احتج بها كل فريق والرد عليها؛ يتبين لنا قوة أدلة الفريق الأول (الجمهور)، والثالث (مذهب البخاري وغيره)، والله تعالى أعلى وأعلم.

وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن ركن الركوع وما يتعلق به من أحكام، وأهمها أن الركوع ركن من أركان الصلاة، لا تصح إلا به، وأنه لا يعتد به إلا مع الاطمئنان فيه، وأن التسبيح والذكر في الركوع سنة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وأن هناك أذكار واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الركوع أفضلها هو التسبيح، وكلها مجزئة، وكذلك وضحنا أن الدعاء جائز في الركوع ولا كراهة فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السنة ودورها في مسائل الاعتقاد

إعداد/ **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد فقد ذكرنا في العدد الماضي أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة، ومنه ينهل المسلم ويتعلم أصول عقيدته، يليه السنة النبوية الصحيحة، التي تبيِّن مجمله، وتفسِّر مبهمه، وتوضح مشكله، وتخصص عامَّه، وتقيِّد مطلقه، وهي المنبع الثاني التي يستقي المسلم منها عقيدته الصافية.

وحيث إننا قد استفضنا في إيضاح مكانة السنة النبوية في افتتاحية هذا العدد، فإننا - منعًا للتكرار- نتناول في هذا العدد دور السنة النبوية في إيضاح مسائل العقيدة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أقسام الخبر باعتبار عدد رواته وما يفيده كل قسم: ويشتمل على النقاط التالية:

أ- أقسام الخبر باعتبار عدد رواته:

ينقسم الخبر باعتبار عدد رواته إلى: متواتر وآحاد.

القسم الأول: الخبر المتواتر:

التواتر في اللغة: هو التتابع.

أما الخبر المتواتر في اصطلاح الأصوليين: فقد اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الخبر المتواتر، وإن كانت متفقة في المعنى، وهذه بعض تعريفاتهم:

يقول ابن الحاجب- رحمه الله- معرفًا الخبر المتواتر بأنه: «خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بصدقه».

وقال الآمدي: «والحق أن المتواتر في اصطلاح المتشرعة عبارة عن خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بمخبره».

فكل منهما قيده بكونه «خبر جماعة»: احترازًا من الخبر الواحد؛ وبكونه «مفيدًا بنفسه العلم»: احترازًا من خبر جماعة لا يفيد العلم بنفسه، وإنما أفاد العلم بغير نفسه، كالخبر المحتفي بالقرائن أو بغير القرائن.

تعريف الخبر المتواتر عند أهل الحديث:

ذكر ابن الصلاح رحمه الله: أن أهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص، وإن كان

الخبر المتواتر ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدًا، يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم مَحال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر.

الحافظ الخطيب قد ذكره؛ ففي كلامه ما يشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك لكونه لا تشمله صناعتهم، ولا يكاد يوجد في رواياتهم، فإنه عبارة عن الخبر الذي ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة، ولابد في إسناده من استمرار هذا الشرط في رواته من أوله إلى منتهاه.

ولعل ما ذكره ابن الصلاح من عدم ذكر أهل الحديث لتعريفه خاص بالقدماء منهم؛ لأن متأخريهم يعرفونه بما يتفق مع تعريف أهل الأصول، وإن لم يفصلوا فيه القول مثل أهل الأصول.

وما أشار إليه من تعريف الحافظ الخطيب له، فهو قوله: «فأما الخبر المتواتر فهو: ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدًا، يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وأن ما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم؛ فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة».

القسم الثاني: خبر الآحاد:

الآحاد: جمع أحد، وهو بمعنى الواحد، وهمزة «أحد» مبدلة من واو، فأصلها «وحد»، وربما جاءت على الأصل كما في قول نابغة ذبيان:

كأن رحلي وقد زان النهار بنا
لذي الجليل على مستأنس وحد

ويجمع الواحد على «أحدان»، والأصل «وحدان»، فقلبت الواو همزة لانضمامها.

وعرف خبر الآحاد بأنه: «الخبر الذي لم ينته إلى حد التواتر، ولم يقصر عن درجة الاحتجاج، وإن روته جماعة»؛ وعليه فالمشهور- أي الحديث المشهور- من خبر الآحاد؛ إذ لا واسطة بين المتواتر والآحاد.

ب- ما يفيده كل قسم:

أولاً: ما يفيده الخبر المتواتر:

ذكر أهل العلم أقوالا في نوع العلم الحاصل من الخبر المتواتر:

القول الأول: أن الخبر المتواتر يفيد العلم النظري، وهو ما كان عن نظر واستدلال، وهذا منقول عن الكعبي وأبي الحسين البصري.

القول الثاني: أنه يفيد العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه؛ بحيث لا يمكنه دفعه، وهذا هو المعتمد، وبه قال الجمهور، يعني: أن الجمهور ذهبوا إلى أن الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري.

ثانيًا: ما يفيده الخبر الواحد:

ذهب الإمام أحمد- رحمه الله- في إحدى الروايتين عنه: إلى أن خبر الواحد العدل يفيد القطع إذا صح، واختار ذلك جماعة من أصحابه، منهم: ابن أبي موسى وغيره، ونصر ذلك القاضي في (الكفاية) واختار هذا القول الحارث المحاسبي، وهو قول جمهور أهل الظاهر، وجمهور أهل الحديث.

قال ابن حزم- رحمه الله-: وقد يضطر خبر الواحد إلى العلم بصحته، إلا أن اضطراره ليس بمضطرد ولا في كل وقت، ولكن على قدر ما يتهيأ، فهذا قسم. والقسم الثاني من الأخبار: ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضا، وقال ابن القيم- رحمه الله- «فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي وأصحابه؛ كأبي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي».

قال ابن القيم- رحمه الله-: وصرحت الحنفية في كتبهم بأن الخبر المستفيض يوجب العلم، ومثلوه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا وصية لوارث»، قالوا: ومع أنه إنما

> خبر الآحاد هو الخبر الذي لم ينته إلى حد التواتر، ولم يقصر عن درجة الاحتجاج، وإن روته جماعة وعليه فالحديث المشهور من خبر الآحاد ، إذ لا واسطة بين المتواتر والآحاد.

روى من طريق الآحاد، قالوا: ونحوه ابن مسعود في المتبايعين إذا اختلفا، إن القول قول البائع أو يترادان، قالوا: ونحوه حديث عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس، قالوا: وكذلك حديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة في إعطاء الجدة السدس.

وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، والعمل بالصحيح فقط:

ويشتمل على النقاط التالية:

أ- وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة:

لما اختلف العلماء- رحمهم الله تبارك وتعالى- في إفادة خبر الواحد للعلم أو عدم إفادته العلم، كان لهذا الاختلاف أثر في: هل يؤخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والأحكام، أو يعمل بخبر الواحد في الأحكام فقط دون العقائد؟ فالذين قالوا: بأن خبر الواحد العدل إنما يفيد الظن، قالوا: يحتج به في الأحكام دون العقائد؛ لأن الآحاد لا تفيد اليقين، والعقائد لابد فيها من اليقين، وما ذكروه من التفريق بين ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه يعترض عليه بما يأتي.

الأول: أننا يمكننا أن نطالبهم بفرق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد العدل من الدين وبين ما لا يجوز إثباته.

الثاني: أن القائلين بإفادته للعلم والقائلين بإفادته للظن اتفقوا على نقل إجماع الصحابة والتابعين على العمل به، ولم يرد عن أحد منهم أن أحدًا من الصحابة منع الاستدلال بخبر الواحد في العقائد؛ لكونه لا يفيد إلا الظن، وأن العقائد لا يحتج فيها إلا بما يفيد القطع، بل الوارد عنهم قبول الخبر متى صح مطلقًا، وتخصيص ذلك بالأحكام دون العقائد يحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع قطعي.

الثالث: ما تواتر من إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله وسعاته إلى الآفاق والملوك المجاورين لجزيرة العرب والقبائل كذلك؛ لتبليغ الرسالة وتعليم الأحكام، وحل العهود وتقريرها، وقبض الزكوات وفصل الخصومات ونحو ذلك، فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم بصرى، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي بكتابه إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة، وعثمان بن العاص إلى الطائف، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق، وسليطة بن عمرو العامري إلى هوذة بن خليفة باليمامة.

ولم يبعث هؤلاء إلا ليقيم بهم الحجة على من بعثوا إليهم، ومن المعلوم: أن أهم ما بعث به هؤلاء هو الدعوة إلى التوحيد، وقد ثبت باتفاق أهل السير، انه صلى الله عليه وسلم كان يلزم من بعث إليهم رسله بقبول قول رسله وحكامه وسعاته، ولو احتاج في كل رسالة إلى إرسال عدد التواتر؛ لم يف بذلك جميع أصحابه، ولخلت دار هجرته صلى الله عليه وسلم من أنصاره، وتمكن منه أعداؤه، وفسد النظام والتدبير، وهذا أمر باطل لا شك في بطلانه؛ فتبين مما ذكر أن خبر الواحد حجة توجب العمل كخبر التواتر، فكما يجب العمل بخبر التواتر في كل ما دل عليه، سواء كان في الأحكام أم العقائد، فكذلك أيضًا ما دل عليه خبر الواحد العدل.

فإن قيل: إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث رسله وسعاته لتعليم الأحكام وجباية الزكاة وتوزيعها فحسب، دون الدعوة إلى التوحيد أجيب عنه: بأنه ورد التصريح في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك بالدعوة إلى التوحيد.

فمن ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس: «أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات

لقد اتفق أهل العلم على نقل إجماع الصحابه والتابعين على العمل بخبر الواحد متى صح عن رسول الله وذلك علي السواء فى العقائد والاحكام.

في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا؛ فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم؛ فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس».

وهذا الحديث نص في محل النزاع؛ لأنه يبين بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذًا أن يبدأ أهل اليمن في دعوتهم إلى الله بتوحيد الله- تبارك وتعالى-.

الرابع: أن القائلين بأنه لا يحتج به في العقائد، ثبت عنه قبول ما ورد منه في عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورؤية المؤمنين لله بالأبصار يوم القيامة، وما ورد في نعيم الجنة وعذاب النار، والحوض، والصراط، وغيرها.

واليك بعض أقوال أهل الكلام الذين قالوا بأنه لا يحتج بحديث الآحاد في العقائد، وقد ذكروا مع قولهم هذا واستدلوا وآمنوا وصدقوا بما ورد في أحاديث الآحاد مما جاء في عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وغير ذلك.

قال السرخسي- رحمه الله-: ثم قد ثبت بالآحاد من الأخبار ما يكون الحكم فيه العلم فقط، نحو عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة؛ فبهذا ونحوه يتبين أن خبر الواحد موجب للعلم، وذكر سعد الدين التفتازاني- رحمه الله-: أن خبر الواحد في أحكام الآخرة من عذاب القبر وتفاصيل الحشر والصراط والحساب والعقاب وغيرهم، مقبول بالإجماع.

وقال البزدوي- رحمه الله-: فأما الآحاد في أحكام الآخرة، فمن ذلك ما هو مشهور، ومن ذلك ما هو دونه، لكنه يوجب ضربا من العلم على ما قلنا، وفيه ضرب من العمل أيضا، وهو عقد القلب عليه، ثم اعترفوا به هنا من قبول ما ورد في أحكام الآخرة وغيرها، وهذا يلزمهم قبول ما ورد منها في العقائد؛ لأنه لا يخرج عن عقد القلب؛ ولذا اتفق السلف على نقل أخبار الصفات وليس فيها عمل، وانما فائدتها وجوب تصديقها، واعتقاد ما فيها؛ ولأن اتفاق الأمة على قبولها إجماع منهم على صحتها، والإجماع حجة قاطعة.

قال الشوكاني- رحمه الله-: ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه؛ فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه.

ب- وجوب الاقتصار على الحديث الصحيح دون الضعيف:

سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويندرج فيها الأحاديث الحسنة التي لم تبلغ رتبة الصحيح، ولذلك ينبغي التوثيق والتثبت من صحة الحديث، وقبوله عند الاستشهاد به، والاحتجاج في قضايا الاعتقاد؛ لأن العقيدة لا تبنى على الأحاديث الضعيفة، بل لا تقوم إلا بما صح به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون هذا الحديث الصحيح متواترًا قطعي الثبوت، وقد يكون حديثا مشهورًا مستفيضا يأخذ حكم المتواتر، وقد يكون حديث آحاد، وكلها في أصل الاحتجاج بها سواء عند صحتها، ينبغي الخضوع لها، وقبولها على الرأس والعين، دون تمحل ولا تكلف، ودون التماس الأعذار لردها، وعدم العمل بها؛ فإن جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق.

وانما ينبغي بعد ذلك النظر في المنهج الصحيح في الفهم والاستدلال، واعمال قواعد الاستنباط وضوابط الترجيح عند التعاضد مثلًا،

أما الأخذ بالحديث الصحيح- وهذا هو الواجب- سواء كان متواترًا أم آحادًا بشرط أن يكون صحيحًا. وأما الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الاحتجاج بها، ولا تجوز روايتها أصلًا، إلا لبيان حالها، وانما ينبغي الإعراض عنها؛ لأن العقيدة لا تثبت بالأحاديث الضعيفة فضلًا عن الموضوعة.

سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويندرج فيها الأحاديث الحسنة التي لم تبلغ رتبة الصحيح ولذلك ينبغي التوثيق والتثبت من صحة الحديث وقبوله عند الاستشهاد به والاحتجاج في قضايا الاعتقاد.

وللحديث بقية إن شاء الله.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

مثل الذي هداه الله من بعد الضلالة

مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو من سورة الأنعام الآيتان الثانية والعشرون بعد المائة والثالثة والعشرون بعد المائة، وهما: قال الله تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ» [الأنعام:١٢٢- ١٢٣].

المعنى الإجمالي

قال ابن كثير رحمه الله ٢٣٢/٢: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا، أي في الضلالة هالكا حائراً، فأحياه الله أي أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله». وقال النيسابوري في «غرائب القرآن» (١٥٦/٣): «إنه سبحانه بعد أن ذكر أن المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلاً للفريقين فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيراً على الدوام».

المعنى التفصيلي:

الواو في قوله: «أومن كان ميتا» عاطفة لجملة الاستفهام على جملة «وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» لتضمن قوله: «وإن أطعتموهم» أن المجادلة المذكورة من قبل مجادلة في الدين بتحسين أحوال أهل الشرك وتقبيح أحكام الإسلام التي منها تحريم الميتة، وتحريم ما ذكر اسم غير الله عليه، فلما حذر الله المسلمين من دسائس أولياء الشياطين ومجادلتهم بقوله: «وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» أعقب ذلك بتفظيع حال المشركين، ووصف حسن حالة المسلمين حين فارقوا الشرك، فجاء بتمثيلين للحالتين، ونفى مساواة إحداهما للأخرى؛ تنبيها على سوء أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام.

والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين: فالحالة الأولى حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبهة بحال من كان ميتا مودعا في ظلمات فصار حيا في نور واضح، وسار في الطريق الموصلة للمطلوب بين الناس.

والحالة الثانية حالة المشرك وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها؛ لأنه في ظلمات. [التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣/٥].

وقوله: «وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس» النور عبارة عن الهداية والإيمان، وقيل هو القرآن وقيل الحكمة، وقيل هو النور المذكور في قوله تعالى: «يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم» [التحريم:١٢]، وقيل: المراد به اليقين. «يمشي» أي: يستضيء «به في الناس» ويهتدي إلى قصد السبيل، والضمير في (به) راجع إلى النور «كمن مثله» أي صفته «في الظلمات» أي: لا يستويان. وقيل: «مثل» زائدة، والمعنى كمن في الظلمات كما تقول أنا أكرم من مثلك، أي منك، ومثله: «فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ» [المائدة:٩٥]، و«لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ» [الشورى:١١]، وقيل: المعنى كمن مثله مثل من هو في الظلمات، والمعنى كمن هو خابط في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة.

وقوله: «كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها»:

قال ابن جرير الطبري ٣٠/٨: «كمن مثله في الظلمات...» لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يأخذ؛ لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق. فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر، لا يبصر رشدا ولا يعرف حقا. يعني في ظلمات الكفر. يقول: أفطاعة هذا الذي هديناه للحق وبصرناه الرشاد، كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردد، لا يعرف المخرج منها في دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل، وتحليل هذا ما حرم الله، وتحريمه ما أحل؟

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما معروفين: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ثم اختلف أهل التأويل فيهما، فقال بعضهم: أما الذي كان ميتا فأحياه الله، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل بن هشام. اهـ.

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» ٤٥/٥: والمراد بـ «الظلمات» ظلمة القبر لمناسبته للميت، وبقرينة ظاهرة «في الظلمات» من حقيقة الظرفية وظاهر حقيقة فعل الخروج.

ولقد جاء التشبيه بديعًا إذ جعل حال المسلم، بعد أن صار إلى الإسلام، بحال من كان عديم الخير، عديم الإفادة كالميت، فإن الشرك يحول دون التمييز بين الحق والباطل، ويصرف صاحبه عن السعي إلى ما فيه خيره ونجاته، وهو في ظلمات لو أفاق لم يعرف أين ينصرف، فإذا هداه الله إلى الإسلام تغير حاله فصار يميز بين الحق والباطل ويعلم الصالح من الفاسد، فصار كالحي وصار يسعى إلى ما فيه صلاحه، ويتنكب عن سبيل الفساد، فصار نورًا يمشي به في الناس.

وقد تبين بهذا التمثيل تفضيل أهل استقامة العقول على أضدادهم.

وجملة «ليس بخارج منها» حال من الضمير المجرور بإضافة «مثل» أي ظلمات لا يرجى للواقع فيها تنور بنور ما دام في حالة الإشراك.

وجملة «كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون» استئناف بياني، لأن التمثيل المذكور قبلها يثير في نفس السامع سؤالاً، أن يقول: كيف رضوا لأنفسهم البقاء في هذه الضلالات، وكيف لم يشعروا بالتوبة بين حالهم وحال الذين أسلموا، فإذا كانوا قبل مجيء الإسلام في غفلة عن انحطاط حالهم في اعتقادهم وأعمالهم، فكيف لما دعاهم الإسلام إلى الحق ونصب لهم الأدلة والبراهين، بقوا في ضلالهم لم يقلعوا عنه، وهم أهل العقول فطنة، فكان حقيقا بأن يبين له السبب في دوامهم على الضلال، وهو أن ما عملوه كانت تزينه لهم الشياطين، هذا التزين العجيب، الذي لو أراد أحد تقريبه لم يجد ضلالا مزينا أوضح منه وأعجب فلا يشبه ضلالهم إلا بنفسه على حد قولهم: «والسفاهة كاسمها».

قوله تعالى «كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» قال ابن جرير الطبري (٣٢/٨): يقول تعالى ذكره ما معناه: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله، في أكل ما حرَمت عليكم من المطاعم عن الحق، فزينت له سوءَ عمله فرآه حسنًا، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زيَنت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النَكال.

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوَض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوَى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية. لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زيَن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظيرَ ما زيَن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزيَن لأهل الكفر به من الإيمان به، نظيرَ الذي زيَن منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصَ أعداءه وأهل الكفر، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرَه إليهم الإيمان به والطاعة. انتهى.

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام: ١٢٢] عطف على جملة: «كذلك زيَن للكافرين ما كانوا يعملون» فلها حكم الاستئناف البياني، لبيان سبب آخر من أسباب استمرار المشركين على ضلالهم، وذلك هو مكر أكابر قريتهم بالرَسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وصرفهم الحيل لصدَ الدهماء عن متابعة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشار إليه بقوله: «وكذلك» أولياء الشياطين بتأويل «كذلك» المذكور.

والمعنى: ومثل هذا الجعل الذي جعلناه لمشركي مكَة جعلنا في كل قرية مضت أكابرَ يصدَون عن الخير، فشبَه أكابر المجرمين من أهل مكَة في الشرَك بأكابر المجرمين في أهل القرى في الأمَم الأخرى، أي أنَ أمر هؤلاء ليس ببدع ولا خَاصَ بأعداء هذا الدَين، فإنَه سنَة المجرمين مع الرسل الأوَلين. [التحرير والتنوير ٥/١٨٧].

(وكذلك) أي مثل ذلك الجعل بمكة (جعلنا في كل قرية أكابر) الأكابر جمع أكبر قيل هم الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم، وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم، وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءها وجعل فساقها أكابر (مجرميها)، قال الواحدي في الآية تقديم وتأخير أي مجرميها أكابر، وإنما جعل المجرمين أكابر لأن ما فيهم من السعة أدعى لهم إلى المكر والكفر.

(ليمكروا فيها) بالصد عن الإيمان، واللام على ظاهرها أو للعاقبة أو للعلة مجازاً، قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة والغدر والحيلة والفجور، وزاد بعضهم الغيبة والنميمة والأيمان الكاذبة وترويج الباطل، قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب، عن عكرمة قال: نزلت في المستهزئين، وقيل المعنى ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي، دليله (وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) [الشورى: ٢٧]. انتهى من فتح البيان.

قوله تعالى: «وَمَا يَمْكُرُونَ إلا بأنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» قال ابن كثير(٢/٢٣٣): أيَ: وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم، كم قال تعالى: « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ » [العنكبوت: ١٣]، وقال « وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ » [النحل: ٢٥].

وقوله تعالى: " وما يشعرون " أي ما يعلمون وهي لفظة مأخوذة من الشعار وهو الشيء الذي يلي البدن فكأن الذي لا يشعر نفى عنه أن يعلم علم حس وفي ذلك مبالغة في صفة جهله إذ البهائم تعلم علوم الحس وأما هذه الآية فإنما نفى فيها الشعور في نازلة مخصوصة. (المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٤٥٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فتاوى الشيخ ابن باز، واللجنة الدائمة

حكم الذهاب للسحرة

سئل سماحة الشيخ ابن باز: ما حُكم الذهاب للسحرة والكهنة بقصد العلاج، إذا كان مضطرا إلى ذلك؟

فأجاب: لا يجوز الذهاب إلى الكهان والسحرة والمشعوذين ولا سواهم.

بل يجب أن يُنَبَّه عليهم، ويُؤخذ على أيديهم ويمنعوا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن أتى عَرَّافا فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن أتى كاهنا أو عَرَّافا فصَدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم».

وسئل عن الكُهَّان؟ فقال: «لا تأتوهم».

والكهان: يدعون علم الغيب بواسطة شياطينهم، فلا يجوز إتيان الكهان والعرافين، ولا سؤالهم عن شيء، بل يَجب أن يُنكر عليه، وأن يؤدب؛ حتى لا يعود لشيء من ذلك، لكن يذهب إلى أهل الخير المعروفين بالرقية الشرعية فيرقونه.

(مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز: ٨/ ١٥٨).

وفي سؤال ورد للجنة الدائمة: أرسلت إحدى الأخوات إلى زوجتي بسؤال: أنه لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفك السحر عنه إلا عندما جاءه جبريل عليه السلام، وأخبره بما كان، كما هو ثابت وصحيح إذا لما أحد يُعمل له عمل يجوز أن يفكه (هذا كلام الأخت السائلة). وتقول: إن هذا هو الذي فهمته عند قراءتها لتفسير سورة الفلق في ابن كثير، أرجو توضيح الصواب.

فأجابت: لا يجوز حل السحر بسحر مثله.

وينبغي لمن أصيب بسحر أن يتعالج بالأدوية الشرعية من الرقية بالقرآن واستعمال الأدوية والعقاقير المباحة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تداووا، ولا تتداووا بحرام، فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء».

وكذلك له أن يفكه باستخراج ما سُحر فيه؛ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، إذا عرف مكانه.

مبادئ الاقتصاد الإسلامي

س: على ماذا يقوم الاقتصاد الإسلامي؟

ج: يقوم الاقتصاد الإسلامي على المتاجرة الشرعية، باستثمار الأموال فيما أحله الله تعالى، وفق قواعد وضوابط المعاملات الشرعية، المبنية على أصل الإباحة والحل في المعاملات واجتناب كل ما حرمه الله منها كالربا، قال الله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (البقرة: ٢٧٥)، وقال تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: ١٠).

من حلف في البيع والشراء صادقًا

س: هل يجوز الحلف في البيع والشراء إذا كان صاحبه صادقا؟

ج: الحلف في البيع والشراء مكروه مطلقا، سواء كان كاذبا أو صادقا، فإن كان كاذبا في حلفه فهو مكروه كراهة تحريم، وذنبه أعظم وعذابه أشد، وهي اليمين الكاذبة، وهي وإن كانت سببا لرواج السلعة، فهي تمحق بركة البيع والربح، ويدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وهذا لفظ البخاري، ولما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. أخرجه مسلم (١٠٢/١).

أما إن كان الحلف في البيع والشراء صادقا فيما حلف عليه، فإن حلفه مكروه كراهة تنزيه؛ لأن في ذلك ترويجا للسلعة، وترغيبا فيها بكثرة الحلف، وقد قال الله تعالى: بسورة آل عمران الآية ٧٧ إنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بعَهْد الله وأيْمانهمْ ثمَنًا قليلاً أولئكَ لا خلاقَ لهُمْ في الآخرَة ولا يُكلِّمُهُمُ اللهُ ولا يَنْظُرُ إليهِمْ يوْمَ القيامَة ولا يُزَكِّيهِمْ ولهُمْ عذابٌ أليمٌ ولعموم قول الله تعالى: «واحْفَظُوا أيْمانَكُمْ» (المائدة ٨٩)، وقوله تعالى: «ولا تجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأيْمانِكُمْ» (البقرة: ٢٢٤) ولعموم ما رواه أبو قتادة الأنصاري السلمي، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق أخرجه مسلم في صحيحه. (فتوى رقم: ١٩٦٣٧).

حكم البيع بغير تراض

س: هل يجوز البيع بغير تراض؟

ج: لا يجوز البيع بغير تراض، قال الله تعالى: (يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تأكُلوا أموالَكُمْ بينَكُمْ بالباطِل إلا أنْ تَكونَ تجارةً عَنْ تَراضٍ منكُمْ) الآية (سورة النساء: ٢٩)، إلا إذا كان ذلك بحق، كبيع الرهون من جهة المحكمة. (الفتوى رقم: ٨٨٥٩).

حكم التجارة في المحرمات وبالمال الحرام

س: والدي ماله حرام، وسيعمل لي تجارة رأس مالها حرام، فهل يجوز لي أن أطهر تجارتي من ربح هذه التجارة، وظروفي أني لم أحصل إلا على الشهادة الإعدادية، ولم أرغب أن أتعلم صنعة، وما حكم الإسلام في هذا؟

ج: أولا: شرع الله سبحانه التعامل بين المسلمين بالعقود المباحة، كعقد البيع والإجارة والسلم والشركة، ونحوها من العقود المشروعة؛ لما فيها من المصلحة للعباد. ثانيا: حرم الله بعض العقود لما فيها من المضار، كعقد الربا، والتأمين التجاري، وبعض البيوع المحرمة، كبيع آلات اللهو، وبيع الخمور والحشيش والدخان، لما فيها من المضار المتنوعة.

فعلى المسلم أن يسلك الطرق المباحة في المعيشة والكسب، وأن يجتنب الأموال المحرمة، والطرق الممنوعة، وإذا علم الله من العبد صدق النية وعزمه على اتباع شرعه والاهتداء بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فسوف ييسر له أمره، ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال الله تعالى: «ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢ ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢، ٣)، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه بهذا تعلم أنه ليس لك أن تؤسس تجارة رأسمالها حرام، سواء كان من أبيك أو غيره. (أخرجه أحمد ٧٨/٥). (الفتوى رقم: ٥٤٣٦).

س: والدي تاجر وأنا أساعده في تجارته في الغالب، ولكن هذه التجارة تحتوي على بعض المحرمات، كالشرائط المسجلة التي يعلن فيها العداء لله علنا، وفيها من الفسق مالا يوصف، ويباع أيضا في المحل السجائر، وهذه المحرمات مكسبها يعادل نصف ربح الدكان على الأقل، وأنا آكل من هذا الربح، وأبيعه أيضا مكرها حينما يقول لي: افعل كذا وكذا، وأدعو الله أن يلهمك إعطائي المنهاج السليم لها.

ج: لا يجوز أن تتعاون مع أبيك أو غيره فيما هو محرم من بيع ما ذكرت؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الطاعة في المعروف. (متفق عليه). وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعليك أن تنصح والدك بالرفق والأسلوب الحسن، وأن تعتذر إليه بما ذكرنا». (متفق عليه). (الفتوى رقم: ٦١٢٥)

حكم بيع المصحف وكتب العلم

س: ما حكم الاتجار في المصاحف وأشرطة تسجيل القرآن؟

ج: يجوز الاتجار فيهما؛ لما فيه من التعاون على البر والتقوى.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مسابقة فضيلة الشيخ : محمد صفوت نور الدين

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية ، فرع بلبيس ، أن تعلن عن الحلقة الحادية عشرة من مسابقة فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين ، في القرآن والسنة والعقيدة ، وهي على النحو التالي :

المستوى الأول :

١- حفظ اثنين وعشرين جزءًا من أول القرآن إلى آخر سورة فاطر.

٢- تفسير ربعين من قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ..» ﴿ إلى قوله تعالى﴾ «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ» ﴿ سورة الأحزاب ﴾

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (١٠٠١إلى ١١٠٠) مع شرح أول عشرين حديثاً منها.

٤- دراسة أول ثلاثة أبواب من كتاب التوحيد.

٥- الاستماع إلى شريط (حفظ الله تعالى لدينه وواجبنا نحو هذا الدين) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثاني :

١- حفظ أحد عشر جزءاً من القرآن من قوله تعالى﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [النمل: ٤٥ إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير ربع من قوله تعالى: « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ » [النمل: ٥٤

٣- حفظ خمسين حديثاً من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٥٠١ - ٥٥٠) مع شرح أول عشرة أحاديث منها.

٤- دراسة أول بابين من كتاب التوحيد.

٥- الاستماع إلى شريط (إنها الشدائد) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثالث :

١- حفظ خمسة أجزاء من أول سورة الأحقاف إلى سورة الناس مع التجويد.

٢- معاني كلمات جزء عمَّ.

٣- حفظ خمسة وعشرين حديثاً من كتاب رياض الصالحين من (٣٥١ - ٣٧٥)

٤- حفظ عشرين سؤالاً وجوابهم من كتاب (٢٠٠ سؤال وجواب للشيخ حافظ حكمي)

موعد المسابقة :

سيكون امتحان جميع المستويات بإذن الله تعالى يوم السبت ٧/ ٢/ ٢٠١٥م ، ويبدأ الامتحان من الساعة الثامنة صباحاً بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس.

الشروط :

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الأول عن ٤٠ عاماً ، والثاني عن ٣٠ عاماً، والثالث عن ٢٠ عاماً.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٣٠جنيهاً ، والثاني ٢٥جنيهاً ، والثالث ٢٠جنيهاً ، كمصاريف إدارية في المسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم الامتحان في جميع المواد تحريرياً للمستوى الأول والثاني ما عدا القرآن الكريم ، وأما المستوى الثالث فيكون شفوياً في جميع المواد.

٤- يتم تسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات بالمركز العام - الدور السابع - مجلة التوحيد ، أو بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس ، على أن يكون آخر موعد لتسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات يوم الخميس ٢٢/ ١/ ٢٠١٥م ولن تقبل أي أسماء بعد هذا الموعد.

٥- يتم تسليم نسخة تشمل منهج المسابقة لكل من يسجل اسمه.

٦- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم السبت ٢٠١٥/٢/٢٨م بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس.

٧- جوائز المسابقة قيمة وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول والمستوى الثاني ، عمرة إلى بيت الله الحرام ، والله الموفق.

الآن مفاجأة سارة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٢ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات

موسوعة التوحيد ببلاش

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .

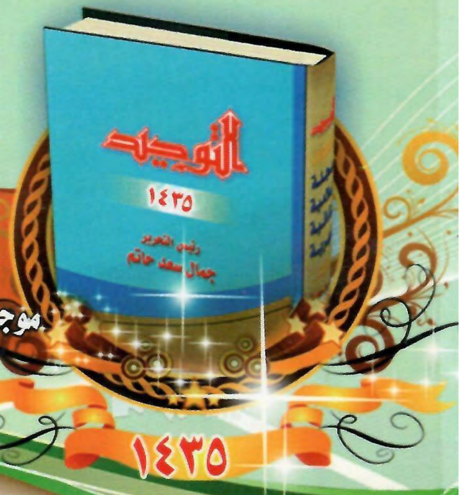
التوحيد
١٤٣٥
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
١٤٣٥

ومفاجأة آخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٥ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط

☎ 23936517